عين جالوت

وفن الحرب عند المماليك

فوزى محمود القونى

غفر الله له و لسائر المسلمين



عين جالوت

وفن الحرب عند المماليك

فوزى محمود القونى

غفر الله له ولسائر المسلمين

2009

مكتبة بستان المعرفة

طباعة ونشر وتوزيع الكتب

كفر الدوار ـ الحدائق – أمام أبراج الحلوانى

☎: ٠٤٥/٢٢١١٤٩٥&٠١٢/١١٥١٢٣٧



بطاقة فهرسة

القونى، فوزى محمود

عين جالوت وفن الحرب عند المماليك فوزى محمود القونى


كفر الدوار: مكتبة بستان المعرفة، ٢٠٠٨.

ص؛ ١٧× ٢٤سم

تدمك: ٩٧٧ ٣٩٣

أ- العنوان.

العنوان	عين جالوت وفن الحرب عند المماليك
اسم المؤلف	فوزى محمود القونى
رقم الإيداع	/ ٢٠٠٨
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977 - 393-
الناشر	مكتبة بستان المعرفة كفر الدوار - الحدائق - ش سور المصنع - أمام أبراج الحلوانى ☎: ٠٤٥/٢٢١١٤٩٥ & الإسكندرية ٠١٢١١٥١٢٣٧ Email: bostan_elma3rafa @ yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

١. عام .

إن العصر المملوكي قد إمتد نفوذه بصورة ملموسة خلال أكثر من قرنين بدأت هذه الدولة الفتية باختبار صعب حيث واجهت المغول الذين اكتسحوا البلاد وذاع صيتهم للقريب والبعيد وهابهم جميع الناس ولكن بفضل الله عز وجل وحتى لا يباد المسلمون انتصر هؤلاء المماليك على أعدائهم المغول الكفار . وهذه البداية الموفقة من قبل الله عز وجل دفعت المماليك الى الإستمرار في المواجهات والإستعدادات الدائمة، فرأينا الحروب الكثيرة في هذا العصر مما عمل على انتشار الإسلام في كثير من البلدان حتي وصل للمغول أنفسهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وسادت هذه الدولة هذه السنين الكثيرة بفضل اجتماعها على الجهاد في سبيل الله .. وما أن دبت الفرقة بينهم وكثرت الأهواء زالت الدولة وهذه سنة الله في خلقه كما قال عز وجل في كتابه: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ...» [1] فعلينا أن نتمسك ونستعصم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وندعوه سبحانه أن يؤلف بين قلوب المسلمين ليعيدوا مجدهم وينشروا الإسلام ليضيء النور في كل مكان إنه نعم المولى ونعم النصير ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٢ . لقد قسمنا البحث الى ثلاثة فصول .

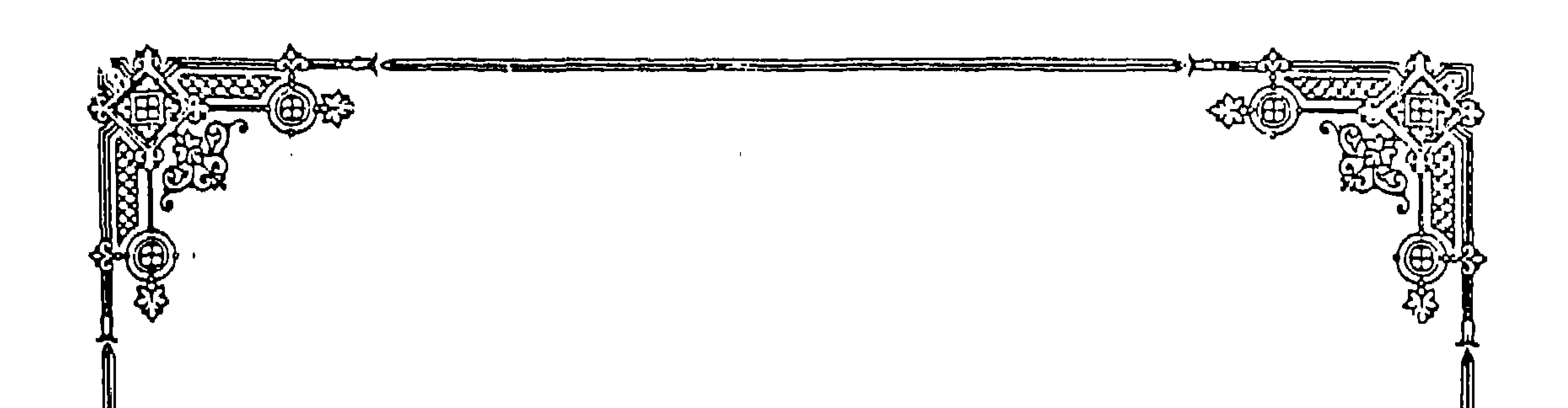
أ . الفصل الأول . نبذة تاريخية، وقد استعرضنا فيه الناحية السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية والموقع لدولة المماليك بشكل موجز .

---

(١) سورة الأنفال ، آية (٤٦) .

ب . الفصل الثاني . وخصصناه في فن الحرب عند المماليك وقد استعرضنا فيه بشكل موجز غير مخل أهداف الحرب والتنظيم والتسليح والتدريب والأساليب القتالية والقيادة والإستخبارات والإدارة والتموين .

ج . الفصل الثالث . وخصصنا هذا الفصل لمعركة عين جالوت ولأهميتها واحتياجها الى أن نوفيها حقها افردنا لها فصلاً مستقلاً .



الفصل الأول

نبذة تاريخية

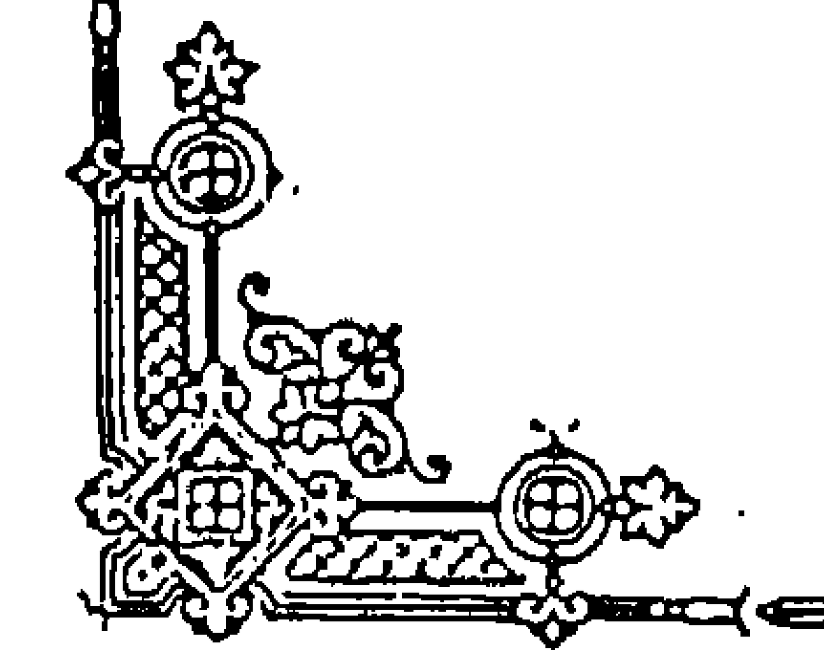
الموقع الجغرافي .

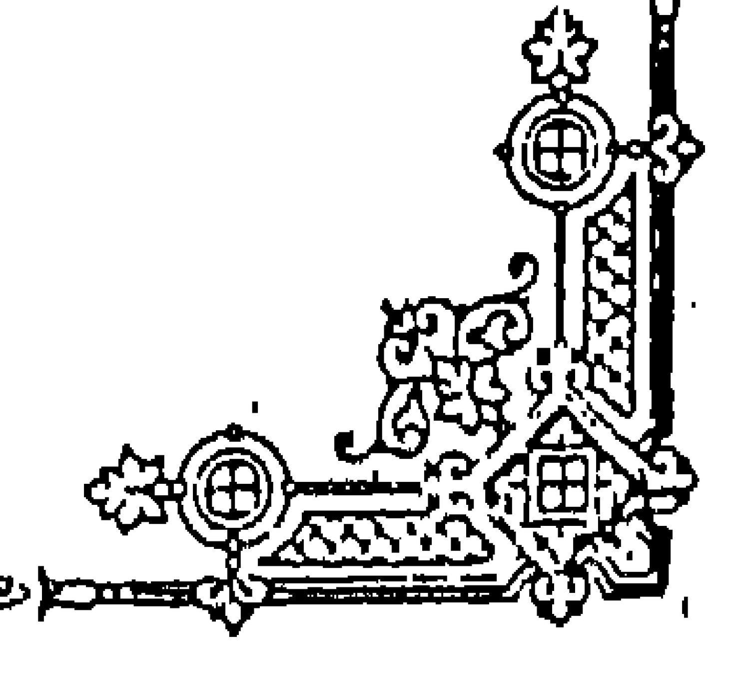
الحالة السياسية .

الحالة الدينية .

الحالة الإقتصادية .

الحالة الإجتماعية .





الفصل الأول

نبذة تاريخية

يطلق إسم (المماليك) إصطلاحاً ، على أولئك الرقيق - الأبيض غالباً - الذين درج بعض الحكام المسلمين على استحضارهم من أقطار مختلفة وتربيتهم تربية خاصة ، تجعل منهم محاربين أشداء استطاعوا فيما بعد أن يسيطروا على الحكم في مصر وأحياناً الشام والحجاز ، وغيرها قرابة الثلاثة قرون من الزمان ما بين ٦٤٨ - ٩٢٢هـ (١٢٥٠ - ١٥١٧)م .

وكلمة (مماليك) جمع مملوك ، وهو الرقيق الذي يباع ويشترى وهو إسم مفعول من الفعل (ملك) ، وإسم الفاعل (مالك) والمملوك هو عبد مالكه ، ولكنه يختلف عن العبد الذى بمعنى الخادم كما أن كلمة (مماليك) تختلف فى معناها عن كلمة (موالى) التى مفردها (مولى) ، والتى تعنى - اصطلاحاً - عند المؤرخين المسلمين : كل من أسلم من غير العرب ، فالموالى قد يكون أصل بعضهم من أسرى الحروب الذين استرقوا ثم أعتقوا أو من أهل البلاد المفتوحة الذين انضموا الى العرب فصاروا موالى بالحلف والموالاة ، والرق وأسباب الإسترقاق قديم قدم الإنسان والإسلام حض على تحرير الأرقاء [1] ولقد قامت دولة المماليك في مصر في ظروف سياسية معقدة ، فقد كان الصليبيون لا يزالون في مصر يحتلون جزءاً كبيراً من أراضيها ، كما كانت الشيخوخة قد هدت كيان الدولة الأيوبية في مصر ومن ثم كان التفكير جدياً في ضرورة نقل السلطة من الدولة المتهالكة نظراً لظروف موت الملك الصالح أيوب وعدم وجود من يتولى من بعده حكم مصر

---

(١) المماليك البحرية : د. شفيق جاسر أحمد محمود ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : العدد (٨١ ، ٨٢) محرم - جمادى الآخر ١٤٠٩هـ ، بتصرف .

من البيت الأيوبي فقد كان ابنه تورانشاه لا يصلح للحكم ، وعلى الرغم من استدعائه من حصن «كيفا» بواسطة زوج أبيه شجرة الدر لتولى الحكم بعد أبيه على الرغم من أن الملك الصالح ذاته قد أوصى بعدم توليه الحكم وقد استطاع المماليك على كل حال أن يتخلصوا من تورانشاه وبوفاته أصبح الطريق خالياً أمام شجرة الدر عصمة الدين أم خليل فأقاموها في السلطنة وحلفوا لها ثم تزوجت من ايبك التركمان وعلى هذا انتقل السلطان الى المماليك ولم يكن هذا بالأمر الهين على أمراء البيت الأيوبي الذين قاوموا المعز إيبك ودخلوا في معارك عسكرية إنتهت بهزيمة الأيوبيين وانفراد المعز ايبك بالحكم في مصر [1] ومرت دولة المماليك البحرية بمراحل أولها دولة المماليك البحرية وكانت من

(١٢٥٠م – ١٣٨٢م) بدأت بالملك المعز «عز الدين ايبك» ثم الملك المنصور «علي» وكان صغيراً فقام بأمور الدولة (الأمير سيف الدين قطز) ثم خلع الملك المنصور ثم قُتل قطز بواسطة بيبرس فصار بيبرس ملكاً علي مصر والشام وتسمى بالملك الظاهر ثم الملك السعيد ثم خلع وتولى ابنه الثاني «الملك العادل» وكان صغيراً فخلفه سيف الدين قلاوون الصالحي» وتلقب بالملك المنصور وثانيها . الدولة القلاوونية وكانت من (١٢٧٩م – ١٣٨٢) م وقد أكثر من المماليك الشراكسة الذين سكنوا الأبراج فسموا بالمماليك البرجية ، وفيما بعد حلوا محل الدولة القلاوونية ، ثم دولة المماليك الشراكسة البرجية

(١٣٨٢م – ١٥١٧) ومرت بعدد من الملوك منهم سيف الدين برقوق والملك الناصر فرج بن برقوق والملك المؤيد وتتابع بعده ملوك ضعفاء وجاء بارسبارى وتلقب بالملك الأشرف وفى عهده غزا الأسطول المصرى جزيرة قبرص فصارت تابعة لمصر ثم تبعه ملوك ضعفاء ثم جاء الملك الأشرف قايتباى وكان آخر الملوك الملك الأشرف قنصوه الغورى ثم هزمهم سليم الأول فى مرج دابق وأناب الغورى

(١) د. محمد نصر مهنا ، د. فتحية النبراوي : قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية (الاسكندرية : منشأة المعارف) ص ٨١ ، بتصرف .

نائب «طومان باى» فتقابل في الريدانية وانهزم وصلبه سليم الأول على باب زويله ، فصارت مصر ولاية عثمانية .[1] وفيما يلي سنذكر مختصراً يشمل موقع الدولة المملوكية وأحوالها المختلفة السياسية والدينية والإقتصادية والإجتماعية .

١. الموقع الجغرافي .

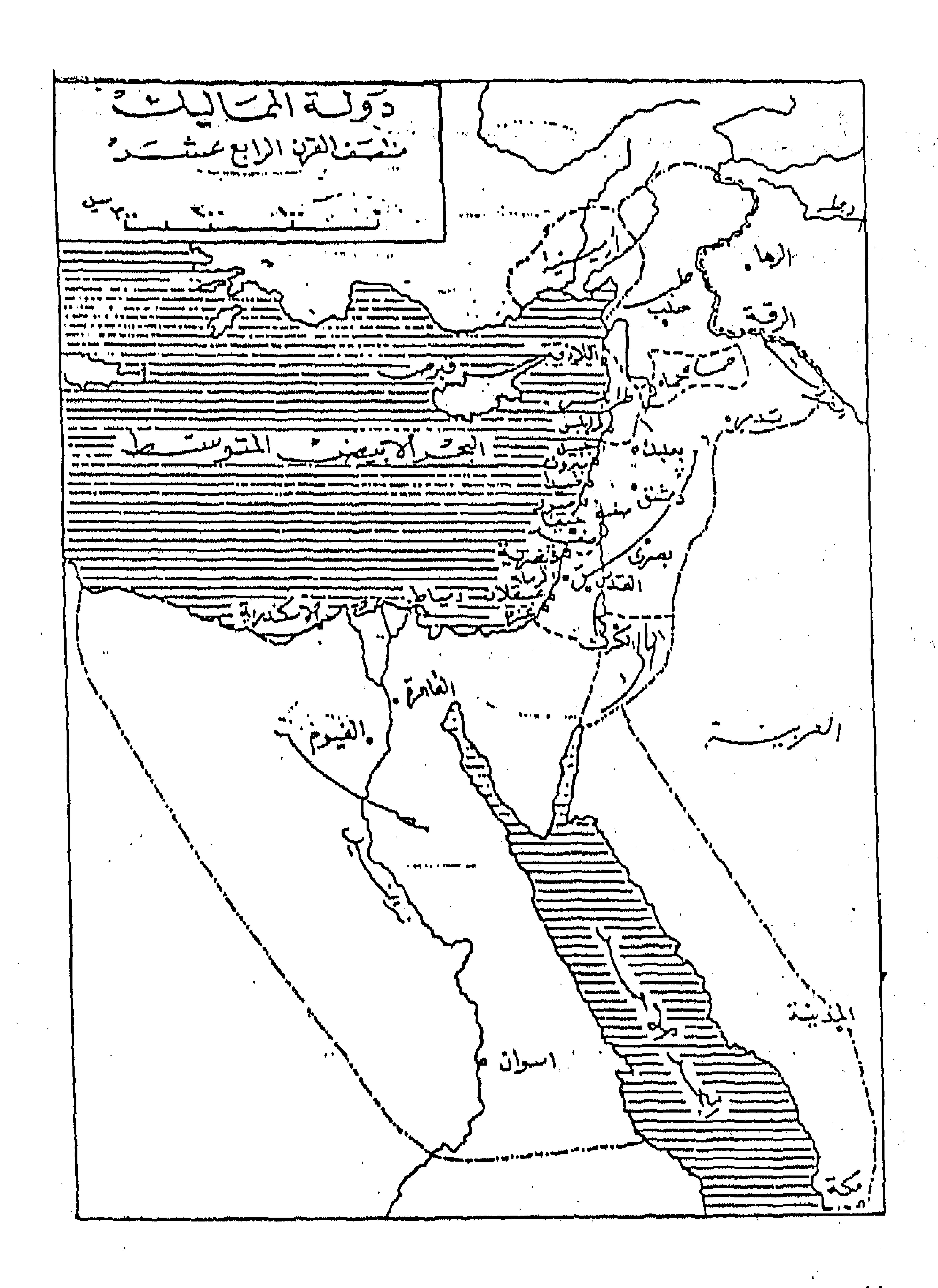
بدأت الدولة المملوكية في مصر في بادىء الأمر حيث وجد عدد كبير من المماليك الذين تربوا تربية خاصة وتدربوا على فنون القتال حتي وصلوا الى مكانة تؤهلهم بالقتال والجهاد في سبيل الله فكانت معركة عين جالوت التى أعادت الأمل في قلوب المسلمين في كل مكان ولا سيما في وجود جيوش المغول ذات الصيت الكبير الذى يصعب أن يقهرهم أى جيش فانكسروا انكساراً بعد أن غزوا بغداد وغيرها من البلاد الإسلامية وتطلعوا إلى الشام ولكن المسلمين هاجموا المغول في موقعة عين جالوت فكانت الشام تبعاً لهم إلا جزءاً قليلاً كان يحتله الصليبيون فكان من ضمن مملكتهم الحجاز وفلسطين وحلب والعراق وسوريه بالإضافة الى مصر وسواحل اليمن وبرقه وفي نهاية الدولة المملوكية توصلوا الي أن يضموا عكا ويأخذوها من أيدى الصليبيين ، فكانوا بذلك أبطالاً مجاهدين في سبيل الله وكان بيدهم البحر المتوسط والبحر الأحمر ونهر النيل واحتلوا قبرص وأنطاكيه والنوبة وغيرها .

وانتهت الدولة على هذه البقاع قبل إستيلاء العثمانيين على مصر وأصبحت مصر ولاية عثمانية فتغيرت الأمور تغييراً شديداً من الناحية التجارية وغيرها .

٢ . الحالة السياسية .

احتكر المماليك مزاولة مختلف النشاطات السياسية ، ورغم ذلك كان لعامة الشعب التاثير الفعال في الكثير من أوجه التغيير في السلطة ، بالإضافة الى

(١) د. توفيق حامد المرعشلي : صفحات في تاريخ مصر (مصر : مطبعة مصر شركة مساهمة ، الطبعة الثانيةلسنة ١٩٢٩) ، ص ٢٧ - ٤٢ ، بتصرف .



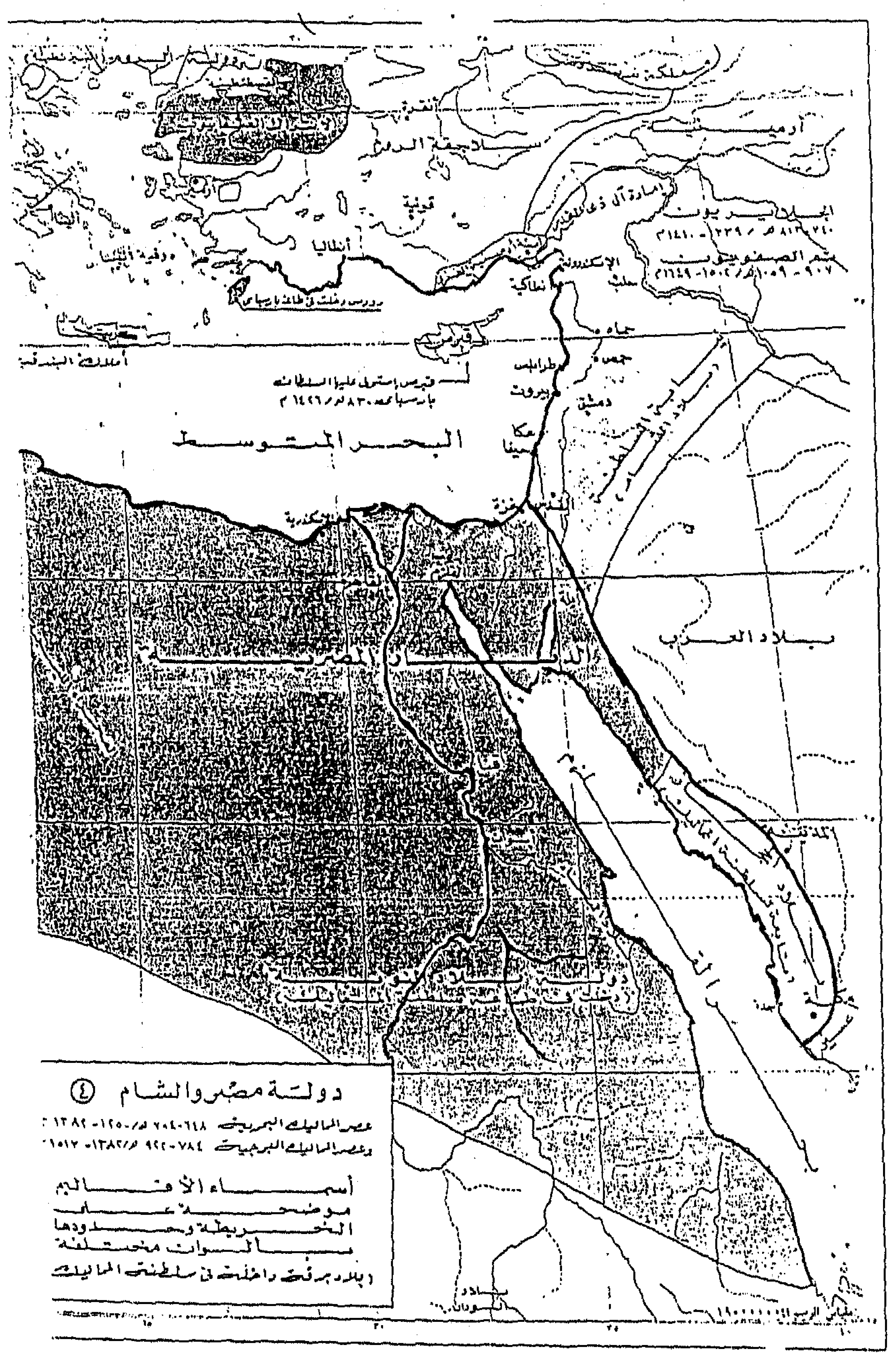
المرجع :

القلاع الإسلامية في الأردن - الفترة الأيوبية المملوكية

دراسة تاريخية أثرية إسراتيجية

تاليف/ سعد محمد المؤمني

دار البشير للنشر والتوزيع - عمان - الأردن



المرجع : أطلس تاريخ الإسلام/ د. حسين مؤنس ، دار الزهراء للإعلام

دورهم في وقوع هذه الواقعة دون غيرها ، ودأب العامة على الربط بين الوضع الإقتصادي في الدولة وبين شخص السلطان الجالس علي كرسي الحكم فإذا ارتفع السعر بتولى سلطان جديد اعتبروه دلالة على الضيق كما في عهد العادل كتبغا، وعندما تولى المنصور لاجين السلطنة تفاءل الناس به حيث انخفضت الأسعار وعم الرخاء وارتفع الوباء وكذا ما حصل من الإستقرار السياسي أيام الناصر محمد بن قلاوون وجميع أسرته .

أهم مميزات الحالة السياسية في العصر المملوكي نذكر منها ما يلي [1] :

أ . المنافسة بين كبار الأمراء المماليك .

ب . اشتداد حدة الصراع بين بعض الأمراء طمعاً في أن يحظى أحدهم بمركز السيطرة الكاملة على السلطان .

جـ . الإضطرابات السياسية بسبب التهديدات الخارجية والتقاتل على السلطة ، وهجمات قطاع الطريق من البدو على المسافرين .

د . تجنيد التركمان والأكراد كمرتزقة في الجيش المملوكي وإبعاد سكان البلد الأصليين حتى لا يصلوا إلى السلطة ويسمحوا لهم في حالة الدفاع فقط ولكنهم لا ينضمون للجيش المملوكي .

هـ . انتقاد الرعية للدولة والجهاز الحاكم بسبب عدم القدرة على مسك زمام الحكم بقوة تكفي استمرار استقرار الأحوال الداخلية فترة طويلة من الزمن .

و . تسلط بعض أهل الذمة على أولى الأمر بما فيها أسرة محمد بن قلاوون .

٣ . الحالة الإجتماعية .

ساد الفقر والمرض في أيام المماليك بوجه عام ، ولكنه مع ذلك يوجد بعض الفترات التى نعم فيها الجميع بانخفاض الأسعار والإرتفاع في المستوى الصحي ،

(١) د. حياة ناصر الحجي : أحوال العامة في حكم المماليك دراسة في الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية (الكويت : شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م) ، ص ١٢١ ، بتصرف .

ولكن في معظم الأحيان كانت الحالة الإجتماعية سيئة ، وهذه بعض النقاط التى تصف الحالة الإجتماعية [1] .

أ . وصول بعض المسئولين من ذوى الضمائر الميتة الى المناصب الإدارية العليا مما ضيع كثيراً من الأهداف المهمة نتيجة التسابق لتحقيق الأغراض الخاصة .

ب . حرصت فئة من الأمراء المماليك الكبار على رفع الظلم عن العامة بمشاورة السلطان ليتخذ إجراءات حازمة ضد من تسول له نفسه استغلال ضعف العامة .

ج . وجود طائفة من العامة المحتاجين مرتبين في الصدقات حيث دأبوا علي الحضور شهرياً الى القلعة للحصول على تلك الإعانة لأجل القوت اليومي .

د . كانت المساجد هي الأماكن الآمنة للضعفاء والمظلومين للتصريح بما في نفوسهم من الظلم والإضطهاد وبحرية تامة .

هـ . كان وقوع الظلم من الأسباب الرئيسية التي طالما أدت الى الإلتحام الأرستقراطى - الشعبى بين الأمراء المماليك الأوليجاركية والعامة حيث عمل الطرفان كهيئة متحدة في سبيل الصالح العام المشترك .

و . الإساءة الى سمعة السلطان الحاكم نتيجة سوء تصرف بعض كبار المسئولين الإداريين في الدولة ومنهم من يحاكم .

ز . إستفحال حدوث ظاهرة التآمر السياسي ضد شخص السلطان .

ح . أهمية منصب «نظر الخاص» في تسيير الشئون الداخلية في سلطنة المماليك الأمر الذي أثر في تغيير جوهر الوضع الإداري .

ط . استخدام المصادره المالية كعقوبة متعارف عليها على المذنب .

ي . وصول رسائل مجهولة المصدر الى يد السلطان مما يؤكد علي أن هناك

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩٦ - ٣٩٨ ، بتصرف .

ثمة علاقة بين كبار الأمراء داخل القلعة وعامة الشعب خارج أسوارها .

ك . وجود الإضطرابات والشك والتوتر في العلاقات بين حاكم الدولة وطائفة الأمراء لإنعدام الثقة بينهما .

ل . اهتمام بعض السلاطين في تأسيس البيمارستانات من أجل توفير الخدمات الطبية والوقائية والتمريض المجانية لجميع الناس علي مختلف طبقاتهم مما عمل علي تحسين الوضع الصحي .

٤ . الحالة الإقتصادية .

ترتبط الحالة الإقتصادية في البلاد بكيفية طبيعة النظام السياسي القائم في الدولة، ذلك أن حدوث أزمة سياسية في سلطنة المماليك كان لا بد أن يسبب حالة من التشنج الإقتصادي فتتأثر عجلة البيع والشراء وتتجمد جميع الأنشطة التجارية في الأسواق وغيرها، وسنذكر وصفاً مختصراً لذلك ، ونوجز الحالة الإقتصادية في العصر المملوكي فيما يلي : [١]

أ . إرتفاع الأسعار ومعاناة العامة من غلاء الأقوات والأغذية في الأسواق فيقاسون الجوع وعدم القدرة على دفع قيمة ما يحتاجونه من الطعام اللازم مثل القمح والذرة والفول وذلك بسبب عدم الإستقرار السياسي أو حدوث أزمة عسكرية .

ب . إنتهاز بعض النصابين في كثير من الأحيان ازمة ارتفاع الأسعار فيلجئون الي بيع لحوم الكلاب والقطط على انها من لحم المواشي، وعندما يصلون الى حالة الجوع المهلك ياكلون لحوم الميتة من أجل البقاء .

جـ . إرتباط ظاهرة الإنتعاش الإقتصادي بظاهرة إرتفاع النيل وإنخفاضه .

د . عادة الأمراء المماليك تخزين الغلال في الأهراء والشون وقت الغلاء والمجاعة والوباء لحاجتهم أو لبيعها بأسعار مرتفعة من أجل الربح .

هـ . قيام بعض الصيارفة بتزييف النقد وطرحه في الأسواق واكتشاف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ – ٢٧٤ ، بتصرف .

الحكومة لذلك يعمل على صك عملة جديدة لإزدهار الإقتصاد .

و . إباحة بعض السلاطين النهب والسلب للعامة من غلال الأمراء التى يخزنها الأمراء مما يدفع بالأمراء لبيعها حتى لا تنهب .

ز .إهتمام بعض السلاطين بملء الخزائن بالذهب والفضة بأى أسلوب .

ح . تلاعب الجهاز الحاكم بقيمة الدينار المملوكي من الدراهم وصرفه في البذخ والرفاهية واحتكار بعض الولاة لشراء جميع المحصول .

٥ . الحالة الدينية .

اختلفت الأحوال الدينية تبعاً للسلاطين الحاكمين فمنهم من كان يهتم بالناحية الدينية ومنهم من انتشر في عهده المنكرات والنهب والسرقة وشرب المسكرات . فمثلاً كانت نشأة السلطان قطز نشأة دينية وتربي على الجهاد وعلى العفاف وعلى القناعة ،ولكن الحسد والحقد على السلاطين كان كثيراً ما يحدث الإغتيال كما حدث للسلطان قطز نفسه وسنتكلم بوجه عام ومختصر عن هذه الأحوال فيما يلي :

أ . اعتنى بعض السلاطين بتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين طلباً للأجر والثواب خاصة في أوقات الخروج لقتال العدو أو عند وقوع الأزمات الإقتصادية والمحن الإجتماعية أو حينما يحل المرض بالسلطان .

ب . آهتمام بعض الأمراء ببناء المساجد والمدارس للمتصوفة والأيتام وطرقاء السبيل .

جـ . كان للوازع الديني بالغ الأثر في طبيعة تفسير الناس للمصائب الإقتصادية والمحن الإجتماعية التي عاصروها ، حيث اعتادوا إرجاع أسبابها الى خروج البعض عن تعاليم الدين الحنيف والعصيان في عدم تنفيذ أوامر الله تعالى ومن ثم كان لوقوع هذه الأزمات الإقتصادية الأثر الكبير في عودة الناس للإلتزام بمبادىء الدين وإعلان التوبة في الحرص على تطبيق المثل الدينية لما فيه صلاح النفس وخيرها .

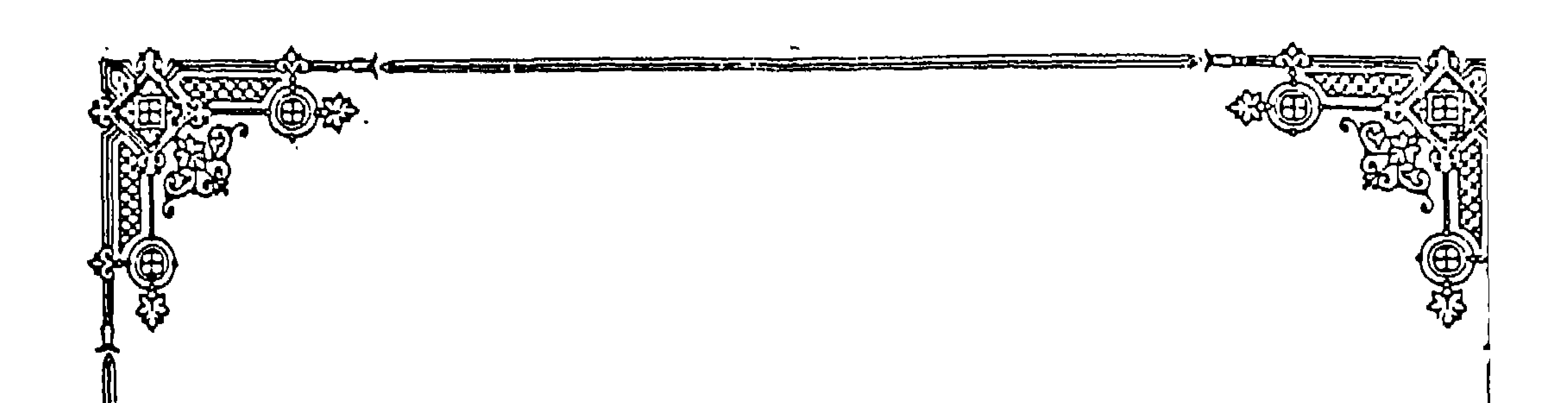
د . الإهتمام بصلاة الإستسقاء للحصول على المياه للزراعة وغيرها ، واحترام العلماء وأهل العلم وبيوت الله .

هـ . إلزام بعض السلاطين لكبار الأمراء والاغنياء بإطعام عدد من الفقراء الجياع ، وهذا تطبيق لمبدأ الشريعة الحنيفية في حق الفقراء وخاصة في حالة المجاعة والأزمات والغلاء .

و . اهتم بعض السلاطين بالعدل في إرجاع الأملاك المصادرة إلى أصحابها وتاكيد حرمة الاوقاف ومن هؤلاء السلاطين كان «لاجين» وكان معظماً للشرع وأهله متنفذاً لأوامره وابطل المكوس والضرائب .

ز . كان بعض السلاطين يشجع على الفساد والنهب والسرقة مما يحدث خللاً واضطراباً في جميع الأحوال ويجعل المبدأ السائد هو الظلم .

حـ . وجود بعض المحتكرين للمحاصيل الزراعية والأطعمة ليحصل على ربح أكبر دون أن يعبأ بمعاناة الفقراء والمحتاجين .



الفصل الثاني

فن الحرب

أهداف الحرب .

التنظيم .

التسليح .

التدريب .

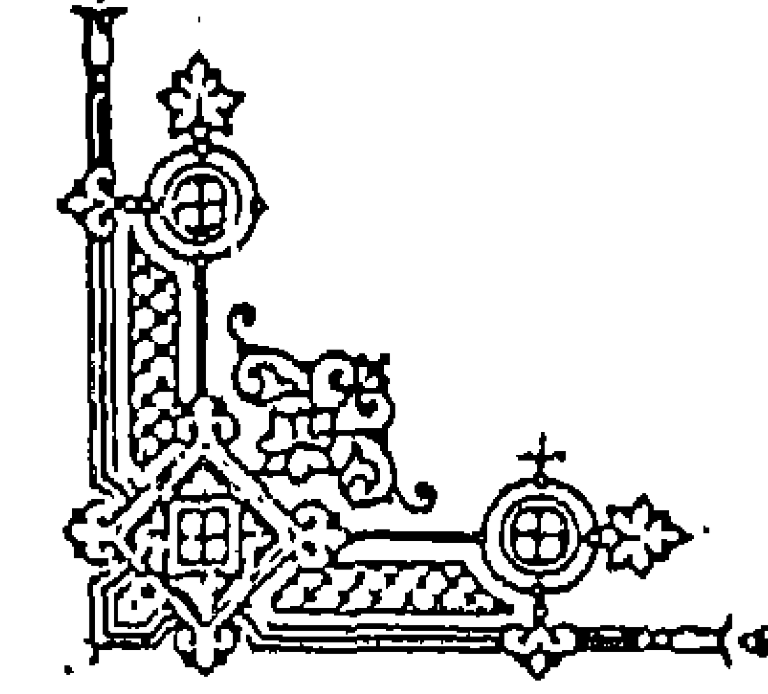
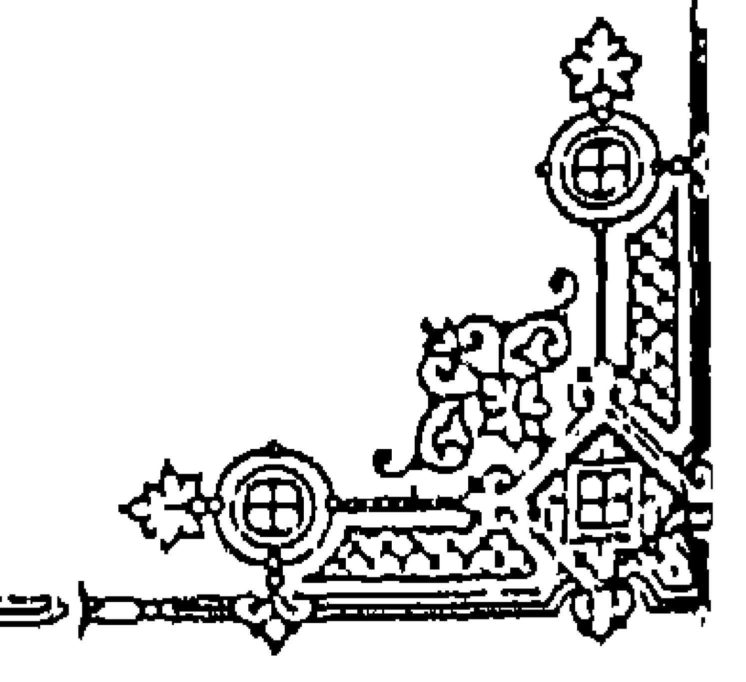
الأساليب القتالية .

القيادة .

الإستخبارات .

الإدارة .

التموين .

الفصل الثاني

فن الحـــــرب

١. أهداف الحرب .

إن الحروب مستمرة منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام وكان خصمه هو ابليس اللعين ولا زالت هذه الحروب بين بني آدم وبين الشيطان ، هذه الحروب بين جنسين مختلفين ، أما الحروب بين أهل الجنس الواحد وهو الإنسان فمستمرة من قديم الزمان منذ بداية العداء بين قابيل وهابيل من أجل الشهوة فهذه الشهوة كانت سبباً للحرب ، وقد قامت معارك كثيرة تحمل في طياتها أهدافاً تختلف من حرب الى أخرى ، فهناك أهداف عقائدية ، كما يوجد في حروب أخرى أهداف تبعاً للمصالح في الحصول على أرض وثروات ، أو الحصول على الحكم ، وفي عصر المماليك أهداف لحروب المماليك نذكر منها الآتي :

أ . القضاء على المغول الذين طغوا في البلاد وأفسدوا وقهرهم .

ب . الثأر لجميع المسلمين في بغداد مما فعله المغول ببغداد من ذبح المسلمين بمئات الآلاف .

جـ . الحفاظ على أرض المسلمين وخاصة مصر لأنها كانت هي الباقية أمام المغول ويملكوا بيضة المسلمين .

د . تحرير أرض المسلمين من المغول والصليبيين .

هـ . الوصول الى الحكم والحفاظ عليه وضم مناطق للسلطنة المملوكية .

و . الحفاظ علي عقيدة المسلمين وحماية نسائهم وأطفالهم .

ز . نشر الإسلام في كل بقاع الأرض .

٢ . التنظيم .

هو تحديد الوظائف والرتب العسكرية وتفصيل المهام والواجبات المترتبة على القادة والمرؤوسين وتوصيف الوظائف العسكرية وتقدير حجم الجيش والقوات المسلحة وتحديد نسبة المماليك والفئات الأخرى كالجلبان والقرانيص وتشكيل الفئات الداخلة في قوام الجيش المملوكي وتنظيم المراسيم والإحتفالات ومواكب السلطان والعلاقات العامة ، وتوجيه القضاء طبقاً للقوانين وأحكام المذاهب الأربعة وتنمية الروح المعنوية في الجيش بكل الوسائل الممكنة كالمكافآت والتعويضات الإضافية والترقية وكيفية تجنيد العسكريين وتطويعهم وما يترتب في الأمور الشخصية وهي إحالته على التقاعد وتقرير عن الخدمة ،وتطوير القوانين والأنظمة العسكرية بما يكفل تحسين مستوى القوات البرية والبحرية ، فمثلاً الوظائف والرتب العسكرية تتدرج من الأمير الكبير فامير السلاح فامير مجلس فامير دودار الكبير فامير أخور الكبير وأمير نوبه وأمير حاجب الحجاب وامير خازندار الكبير وأمير طبر وامير علم وأمير المنزل وأمير غيبه وسنفصلها في عنصر القيادة وأما التشكيلات المقاتلة وحجم الجيش فيتبع التنظم العشري وأمير خمسة وأمير عشرين وأمير مائة وأمير ألف وكذا حجم الجيوش فالجيش تشكيل عملياتي يقوده السلطان أو أحد أمراء الألوف ومجموعة جيوش يقودها السلطان بنفسه تزيد عن اثنى عشر ألفاً .

وأما الجيوش الإقليمية فمهمتها الدفاع عن المنطقة ومكافحة الشغب وحجم الجيش يختلف باختلاف الملوك وأما الجيوش الإحتياطية وهي التي تعبا عند اللزوم وتنتسب إلى فئات مختلفة من المواطنين .

أما الوظائف والرتب الإقتصادية والإدارية في الجيش المملوكي ، فوظائف الجيش يرأسه ناظر الجيش يساعده نقيب الجيش وصاحب الديوان ومكان الديوان في القلعة قسمين أحدهما للجيش المصرى والاخر للشامي وتوجد وظيفة طبلخاناه

والاستادار والمهندار والجاشنكير والأوجاقي والمشرف والساقي والجوكاندار والسنجقدار والشمقدار والجمدار وشاد السلاح والركبدار والمهتار والرختوان الى غير ذلك . وسنفصل هذه الوظائف عندما نتكلم عن القيادة ، أما القضاء العسكرى والإنضباط فمكانها في دار العدل ، والسلطان هو رئيس القضاء وقضاة المذاهب الأربعة ، وأما المراسم والعلاقات العامة: فمراسم تولية السلطان وخلعه والمرافقة والحراسة له والتشريعات الملكية ومراسم الإستقبال والرايات والأعلام التى ترافق الجيش في المناسبات .

ومن التنظيم: الشئون الشخصية التي تعنى بالفرد وبتطويره فيما يتعلق بتطوعه وخدمته في القوات المسلحة والترقي والمكافات والعقوبات وغيرها [1] .

مما سبق نجد أن التنظيم يدخل في جميع الأمور العسكرية وغيرها ونجاح أى عمل يعتمد على التنظيم حتى يسير كل شيء على ما يرام .

٢. التسليح .

اهتم المماليك بتصنيع الأسلحة ووجدت أسلحه جماعية مثل صناعة المنجنيق وأسلحة فردية مثل صناعة السيف والرمح والقوس والنشاب ، كما صنعت أسلحة خفيفة كأسلحة الخناجر والطبر والرمح وصناعة ثقيلة كالدروع والزرديات والدبابات وصناعة المدفعية مع التطوير لهذه الأسلحة ، وصنعوا مدافع النفط ومكاحل النفط من النحاس والحديد وتحمل المدفعية على ظهور الجمال ثم حملت على عجل ، كما نشرت الأسلحة النارية وكان منها حشوات المدافع والبندق والأسهم النارية والصواريخ النفطية وقوارير النفط وأنواع المقذوفات المحتوية على النفط والبارود والدبابيس المملؤة بالمواد الحارقة وغيرها . وقد سبق المماليك غيرهم في تلك الصناعة كما اهتموا بصناعة الأسلحة البحرية

(١) اللواء الركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت دراسة في الجيشين المملوكي والمغولي (دمشق : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، السنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص ١٤٧ - ١٨٨ ، بتصرف .

وتعتبر السفن البحرية من أهم أنواع الأسلحة التى استخدمها الجيش المملوكي ، ويطلق على صانعى الأسلحة (زردكاش) وللأسلحة المنتجة محلياً سوق يدعى (سوق السلاح) وسنتناول باختصار مع شيء من التفصيل لهذه الأسلحة وتقسيمها كالآتي :

أ . سلاح الفرسان والوسائط القتالية له . أنشأوا الإسطبلات ونظموا لها ديوانا واعتنى القادة بإنتاج الخيل وتدريبها (انظر الصفحات ٢٥- ٢٤) ومن الوسائط القتالية للفرسان ما يلي :

(١) السيف . وهو السلاح الرئيسي في الجيش المملوكي وله أنواع كثيرة .

(٢) الرمح . وهو آلة للطعن وله أسماء وطبقات كثيرة .

(٣) القوس . اهتم بها المماليك كما اهتم بها العرب من قبل .

(٤) النشاب . وله عدة أنواع واشتهر المماليك بجودته وصلابته .

(٥) الدبوس . وهو عمود له رأس مدور لتحطيم غطاء الرأس وله أنواع وصفات .

(٦) الطبر . وهو الفأس على شكل هلال نصف دائرة .

(٧) الطارق . نوع من الرماح وتحمله الجمال لإمداد المقاتلين .

(٨) النمجاه . خنجر أو سيف صغير .

(٩) القطاعة . وتسمى أيضاً المطرقة لهدم الأسوار والقلاع .

(١٠) الدرع . قميص منسوج من الزرد على شكل حلقات متصلة للوقاية من السيوف وأدوات الحرب وله أسماء عديدة .

(١١) الجوشن . هو درع بين الحلقات صفائح حديدية ضد السهام والسيوف .

(١٢) القرقل . نوع من الدروع تصنع من صفائح الحديد وتبطن بالديباج .

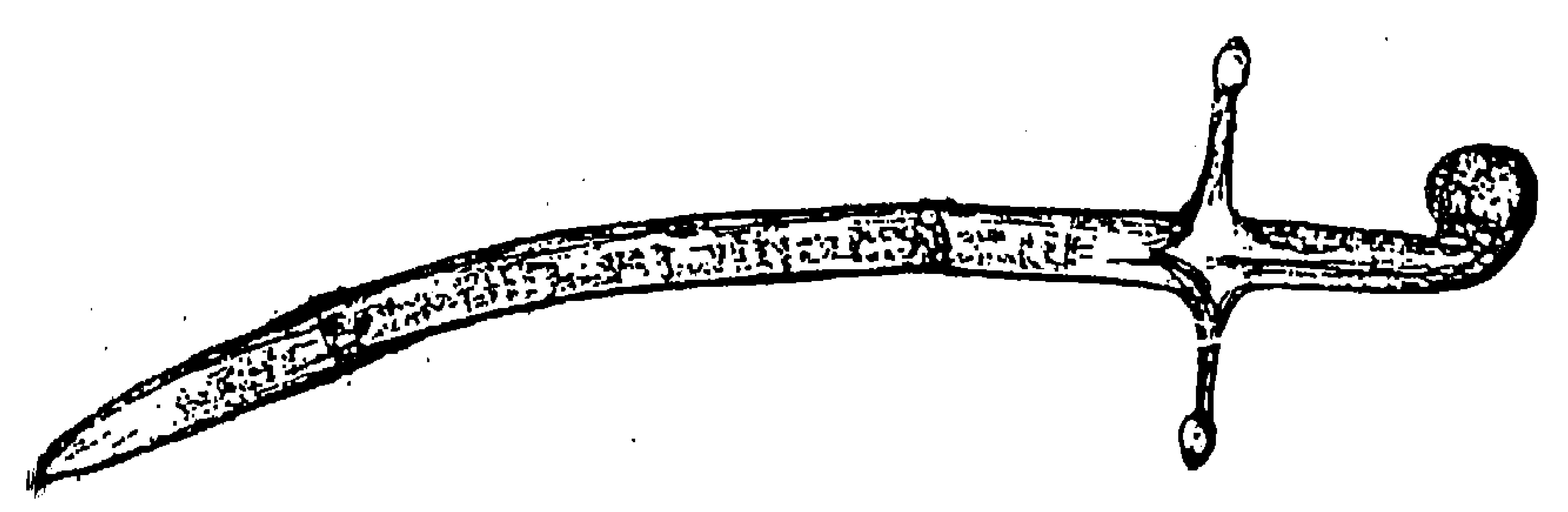
(١٣) الترس . يصنع من الخشب أو الجلد أو الحديد له أسماء وأنواع عديدة .

(١٤) الزردية . منها ما يغطى الصدر أو الجسم كله .

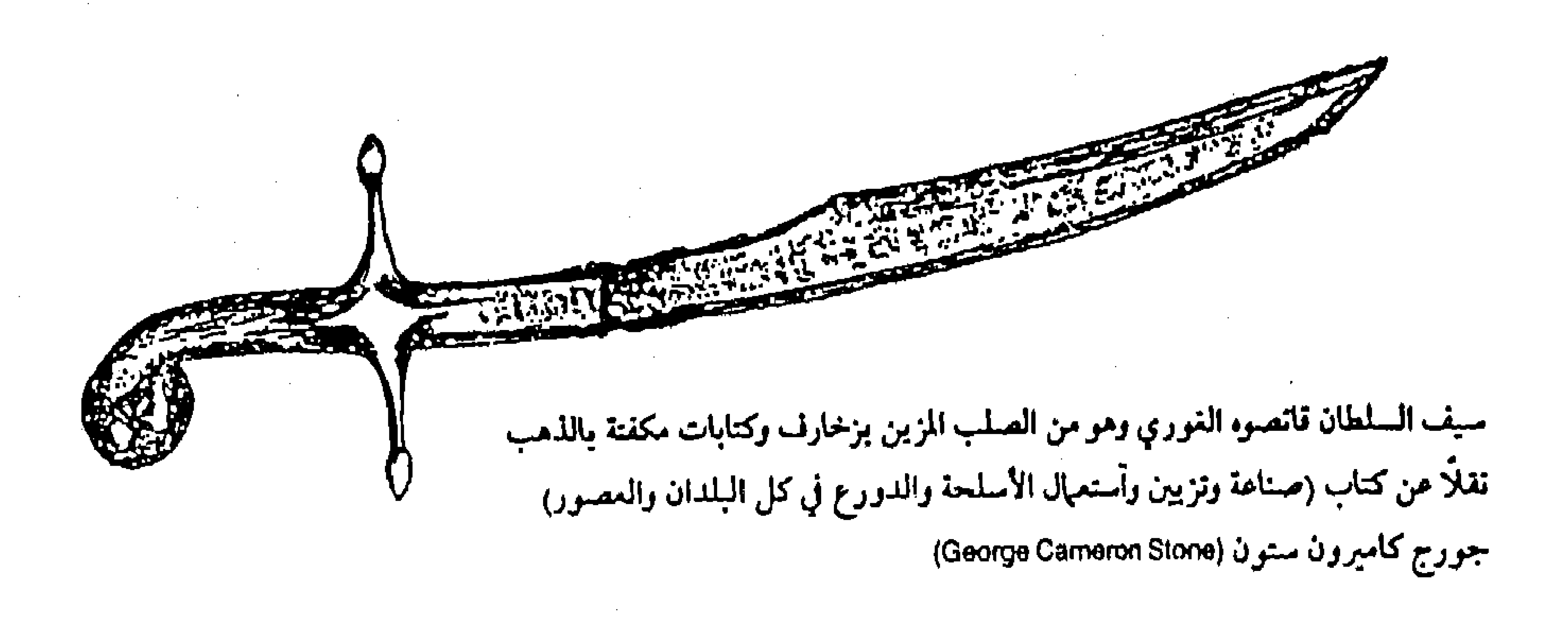
(١٥) الخوذة (البيضة) ، وتقى الراس من الضربات .

نماذج من السيوف المملوكية

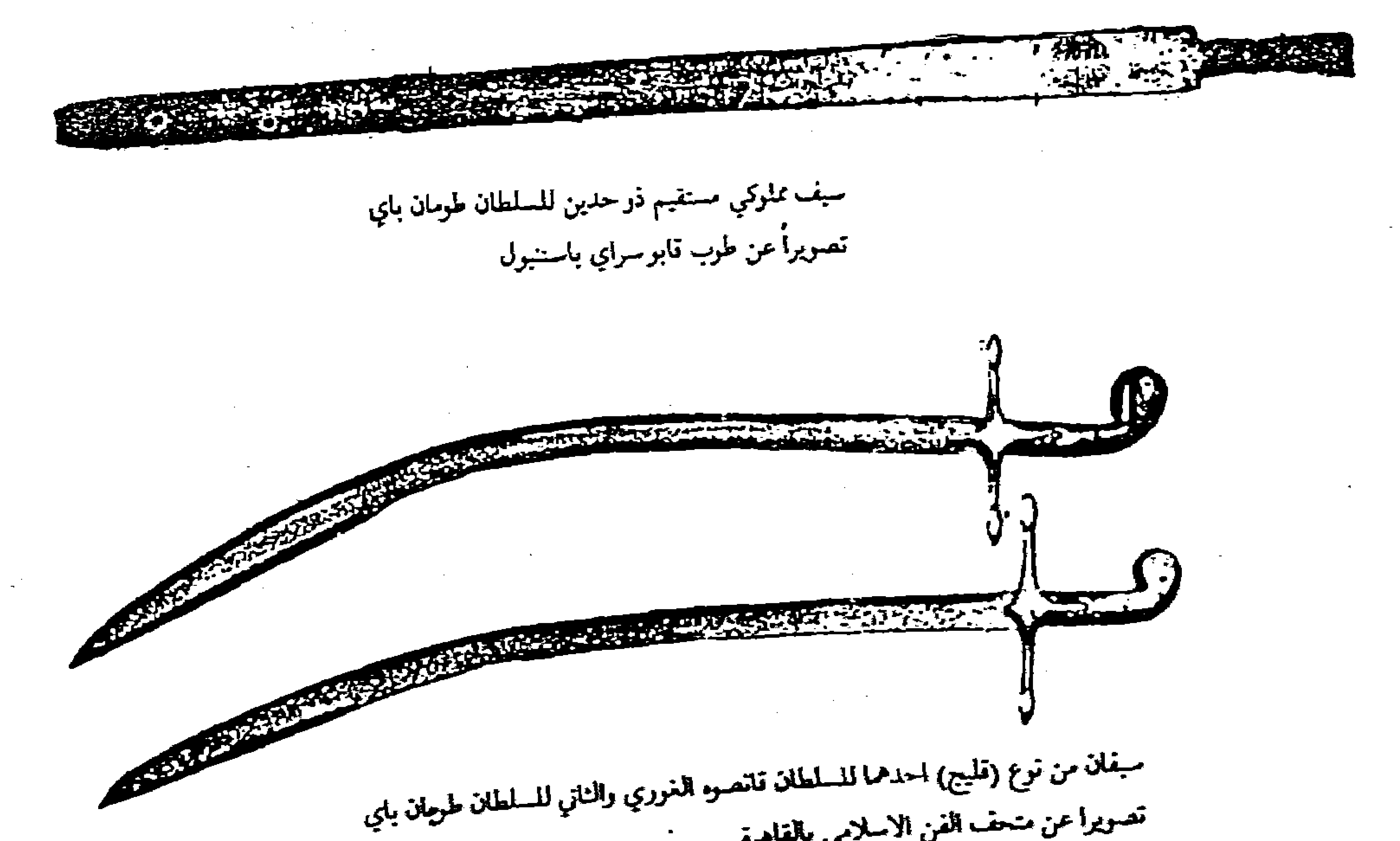
متحف المطرانية بانكلترا



سيف للسلطان طومان باي وهو من الصلب المزين بزخارف وكتابات مكفته بالذهب

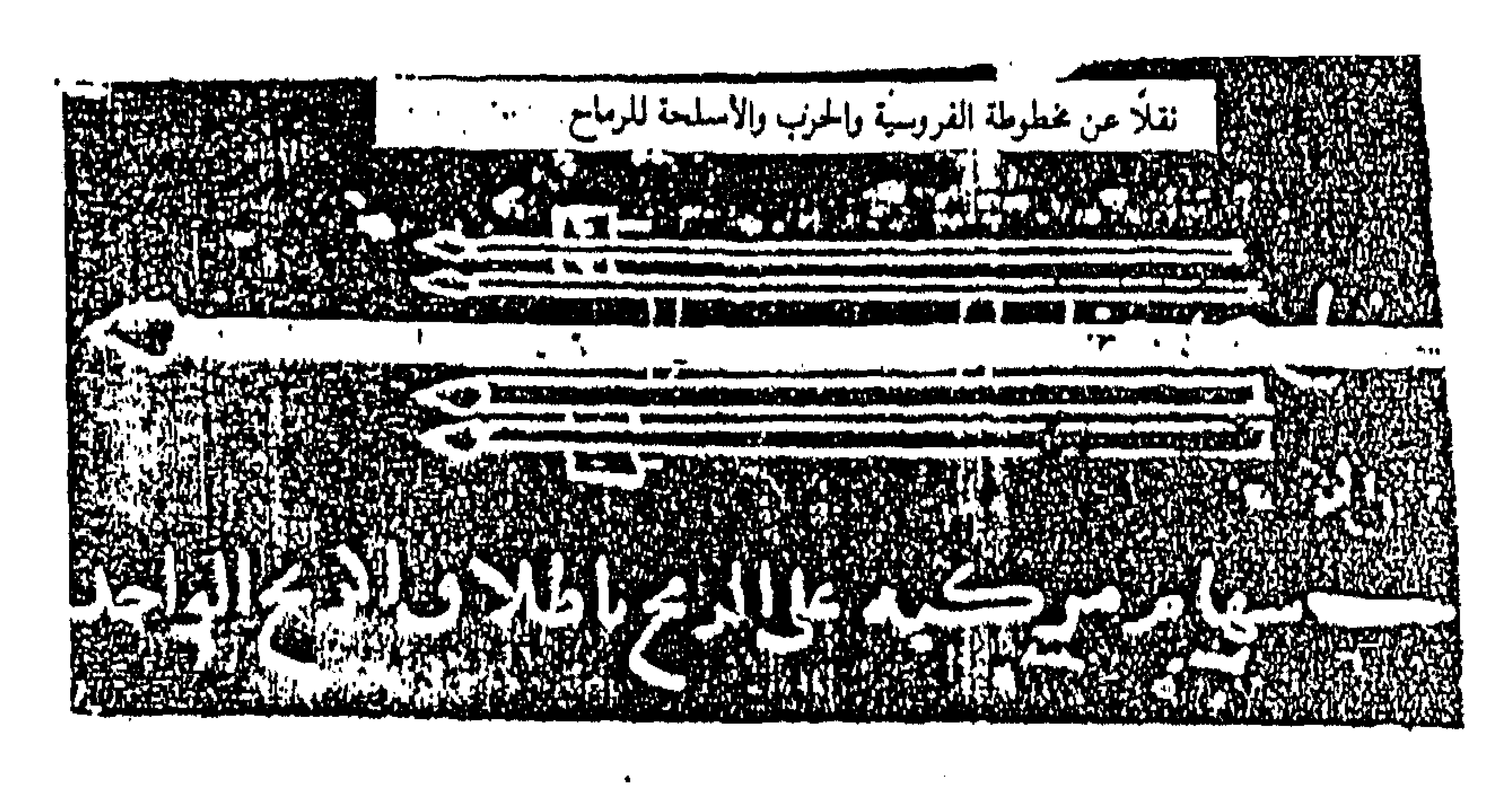


سيف السلطان قانصوه الغوري وهو من الصلب المزين بزخارف وكتابات مكفتة بالذهب
نقلاً عن كتاب (صناعة وتزيين وآستعمال الأسلحة والدورع في كل البلدان والعصور)
جورج كاميرون ستون (George Cameron Stone)

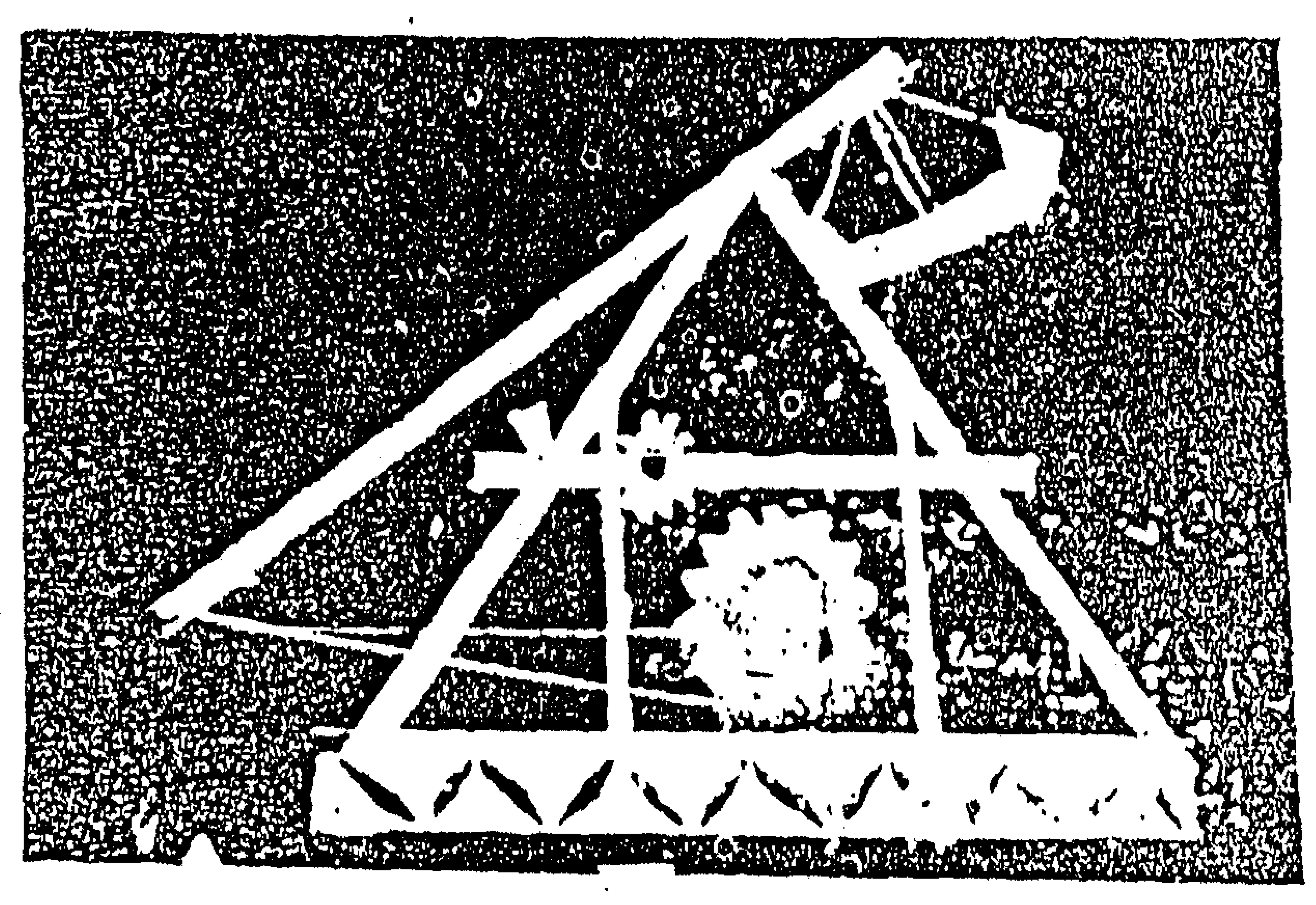


سيف مملوكي مستقيم ذو حدين للسلطان طومان باي
تصويراً عن طوب قابو سراي باستنبول

سيفان من نوع (قليج) احدهما للسلطان قانصوه الغوري والثاني للسلطان طومان باي
تصويراً عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة



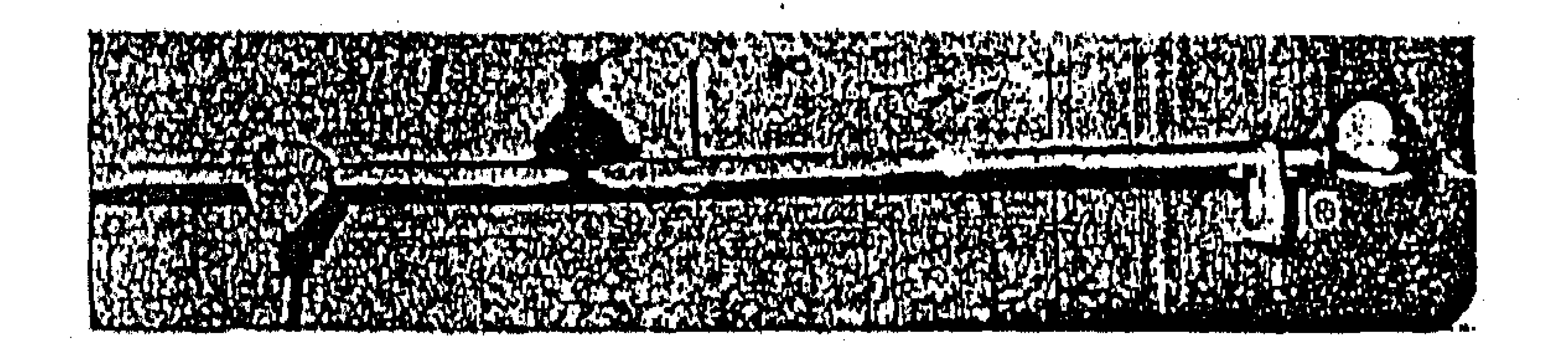
نقلاً عن مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة للرماح



ـ الدبوس :

هو العامود الذي له راس مدور، ويضرب به على الراس ليتحطم غطاء الرأس « الخوذة » أو القناع[1] . والدبوس كلمة فارسية تعني المقمعة وهي تعطي نفس المعنى في التعريف السابق[2] . وله أنواع مختلفة وصفات مختلفة ويوضع تحت فخذ الفارس[3]

دبـــــــــــوس



تصويرا عن المتحف الحربي بدمشق

---

(١): الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ٢ / ١٦٤، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٢ / ١٦٤.

(٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢، ٧٦، ٢٧٢، الكلداني: الالفاظ الفارسية المعربة ٦٠.

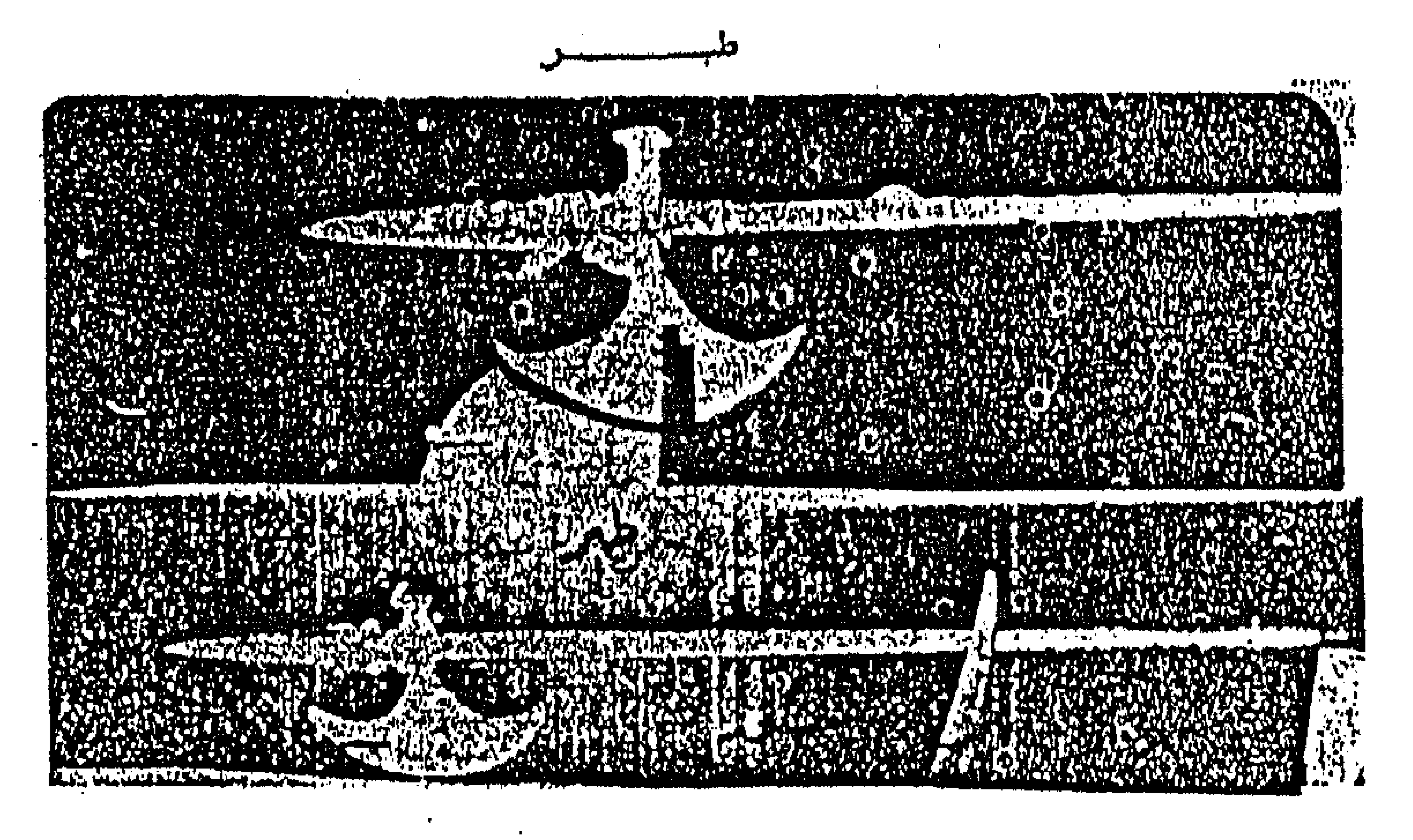
(٣): الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٧٨ وما بعدها، الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٣٧:

- الطبر :

الفأس وهي معربة وأصلها آرامي[1] . وهي آلة حديدية قاطعة. ولهذا السلاح أمير ((أمير طبر)) و(طبردارية) من الجنود يحملون هذا الفأس[2] ، ويصنع من الحديد على شكل هلال نصف دائرة، وله مقبض من خشب أوحديد. ويضعها الفارس في حلقة في سرج فرسه[3] . وهناك اللتوت: الذي يشبه الطبر وهو من الاعمدة التي لها رؤوس مستطيلة ومضربة وكذلك المستوفيات: التي لها مقابض مدورة[4] والعامود: ويستخدم لضرب الرأس والانف أو العضد أو الركبة أو الدابة.

ويعلق العامود في كلاب من سرج الفرس عند ركبة الفارس اليسرى.

طبـــــــر



طبر تصويرا عن المتحف الحربي بدمشق

(١): الكلداني: الألفاظ الفارسية المعربة ١١٠، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٤.

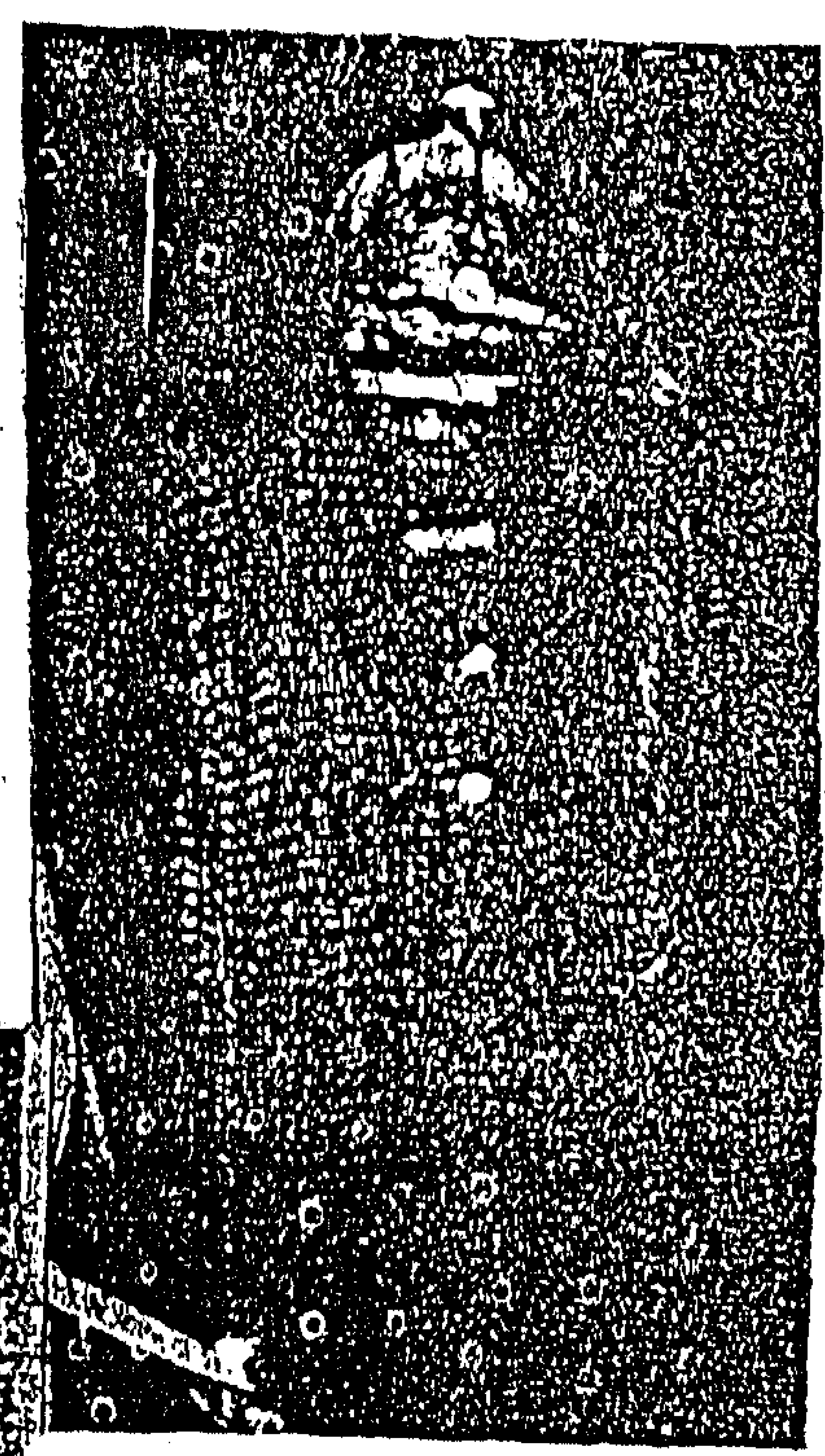
(٢): القلقشندي: المصدر نفسه ٥ / ٤٦٢، ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٨٠٨.

(٣): زكي: السلاح في الإسلام ٣٩.

(٤): القلقشندي: المصدر نفسه ٣ / ٤٧٤، المقريزي: الخطط ٢ / ٢١٥، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٥، ٦٦.

زردية صدر

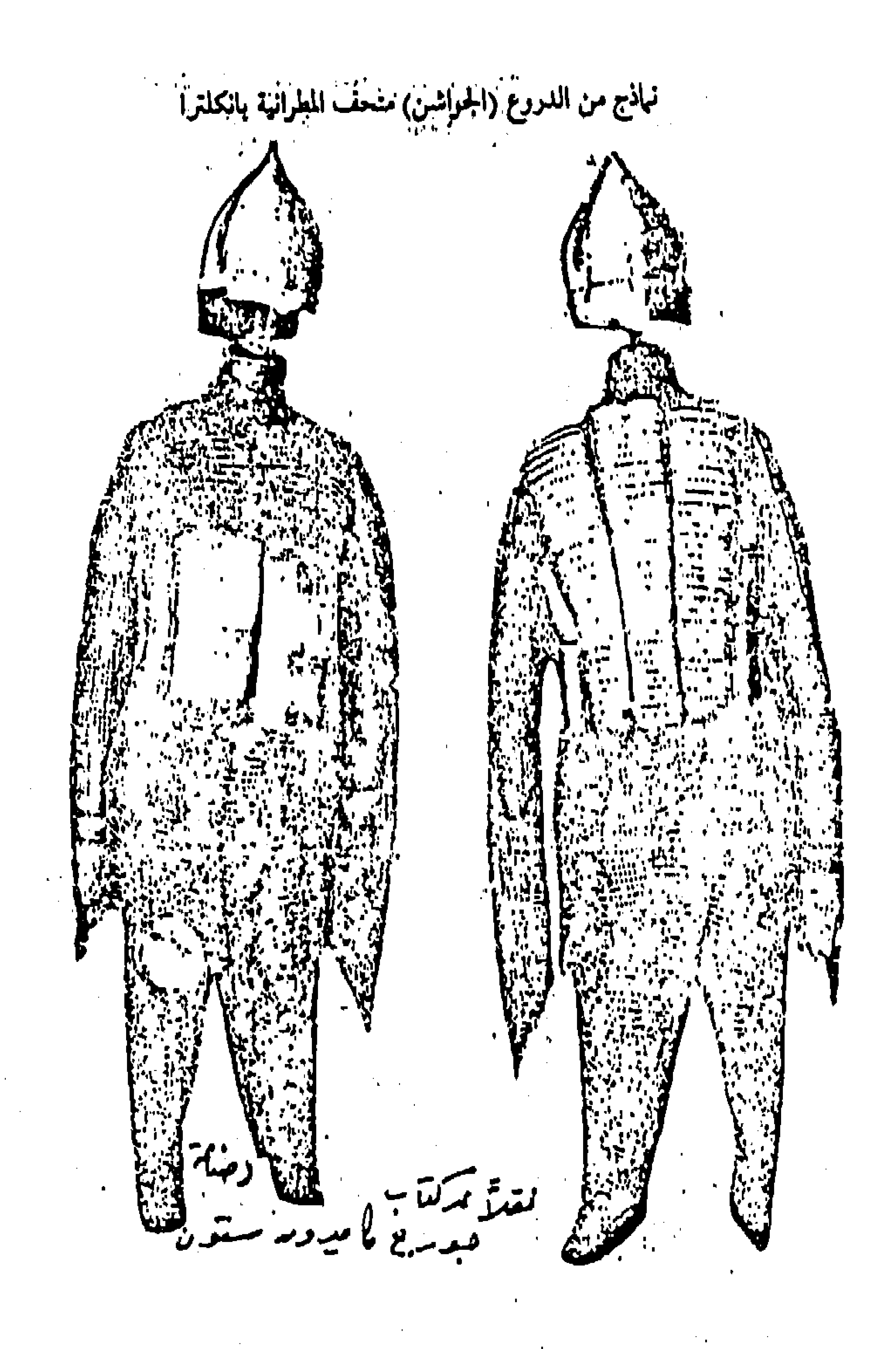
تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق



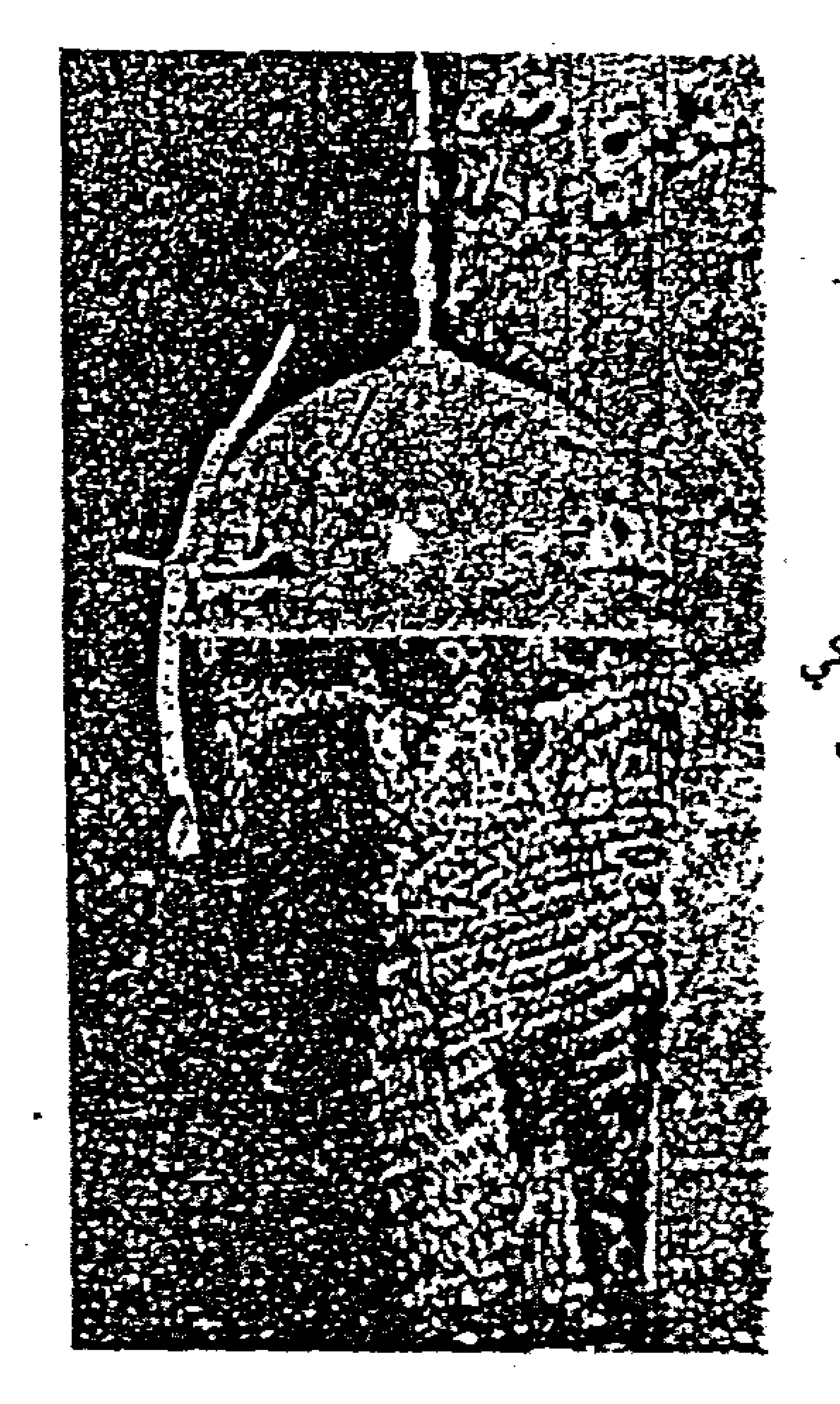
زردية مسبلة

تصويراً عن المتحف العسكري باستانبول

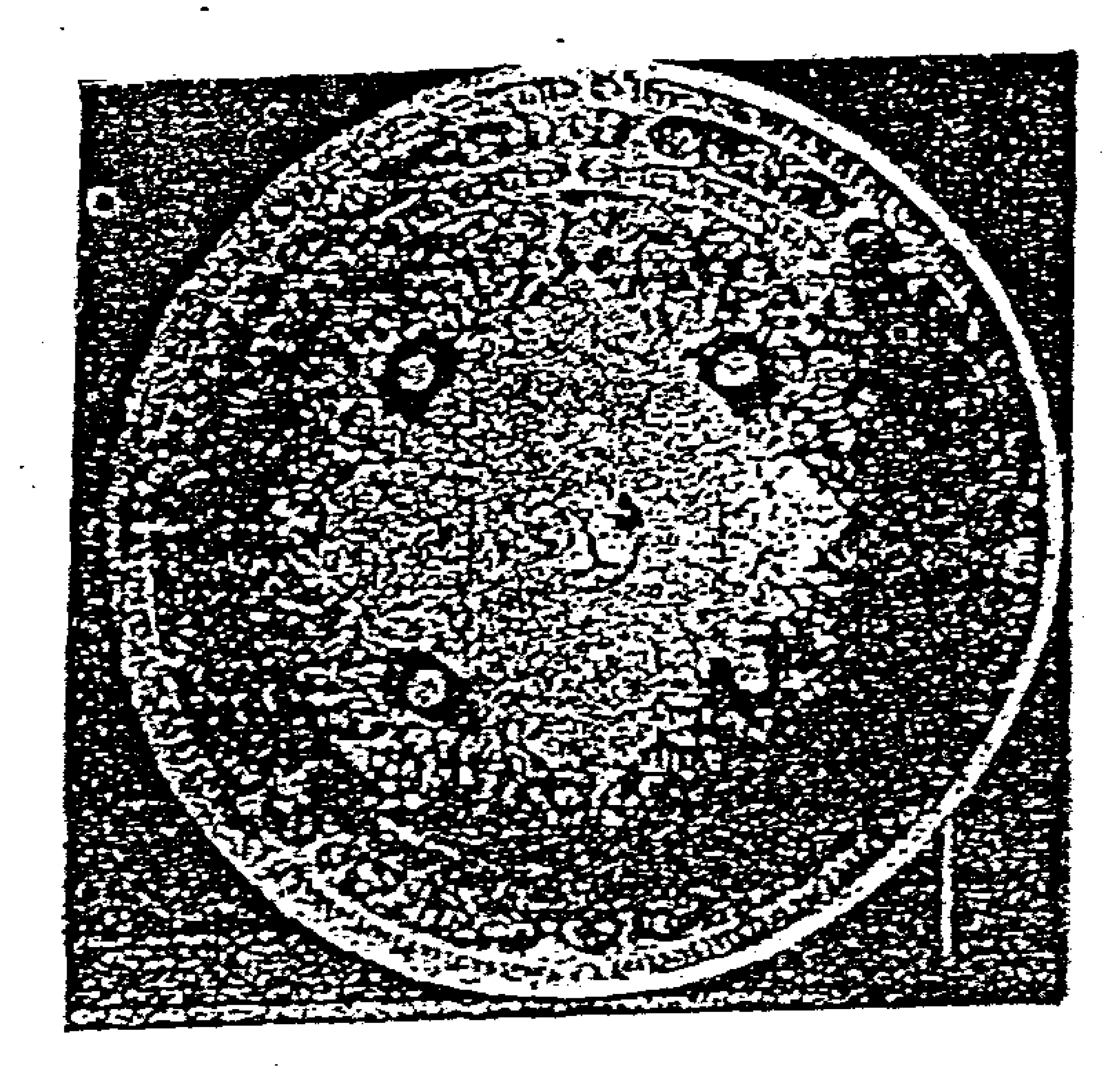
نماذج من الدروع (الجواشن) متحف المطرانية بانكلترا



نقـلاً عن كتـاب (صنـاعـة وتزيين واستعمال الأسلحة والدروع في كل البلدان والعصور)



خوذة وصفيحة وقاية للمقاتل المملوكي
تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق



ترس مستدير من حديد تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق

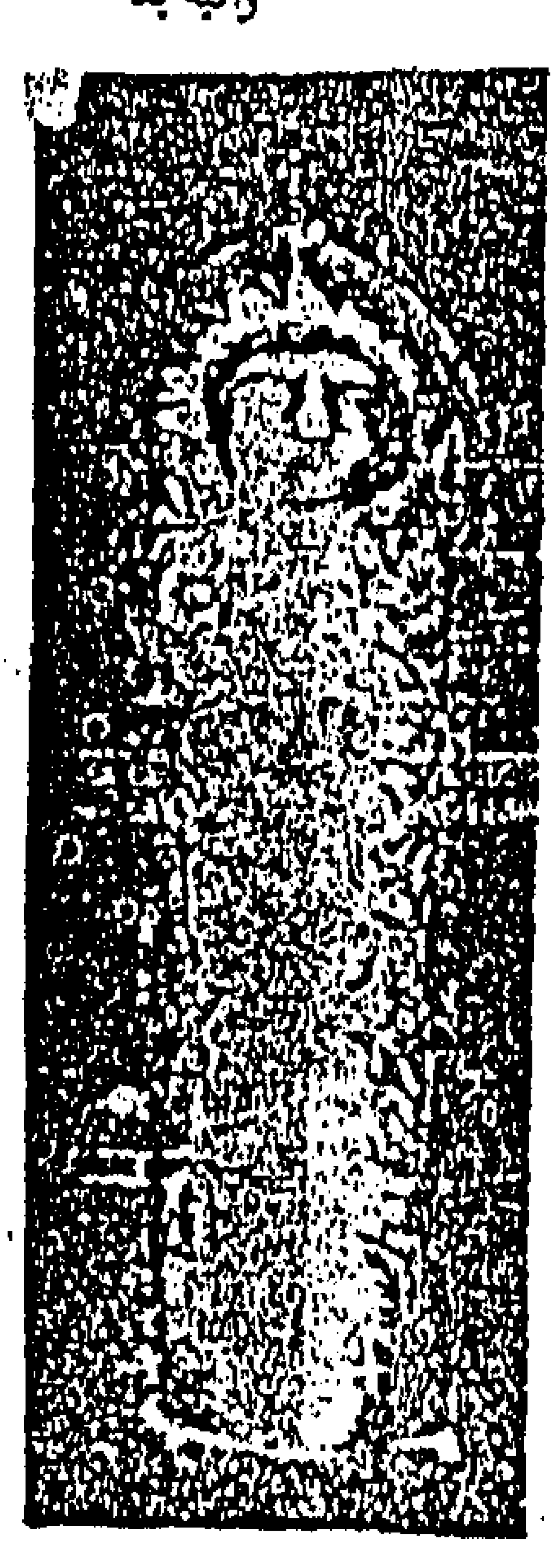
ـ المغفر:

هو كالبيضة، إنما هناك صفيحة تتصل بالبيضة من قفا المقاتل لوقاية اذنه ورقبته وأحيانا أنفه وقد تكون من زرد[1].

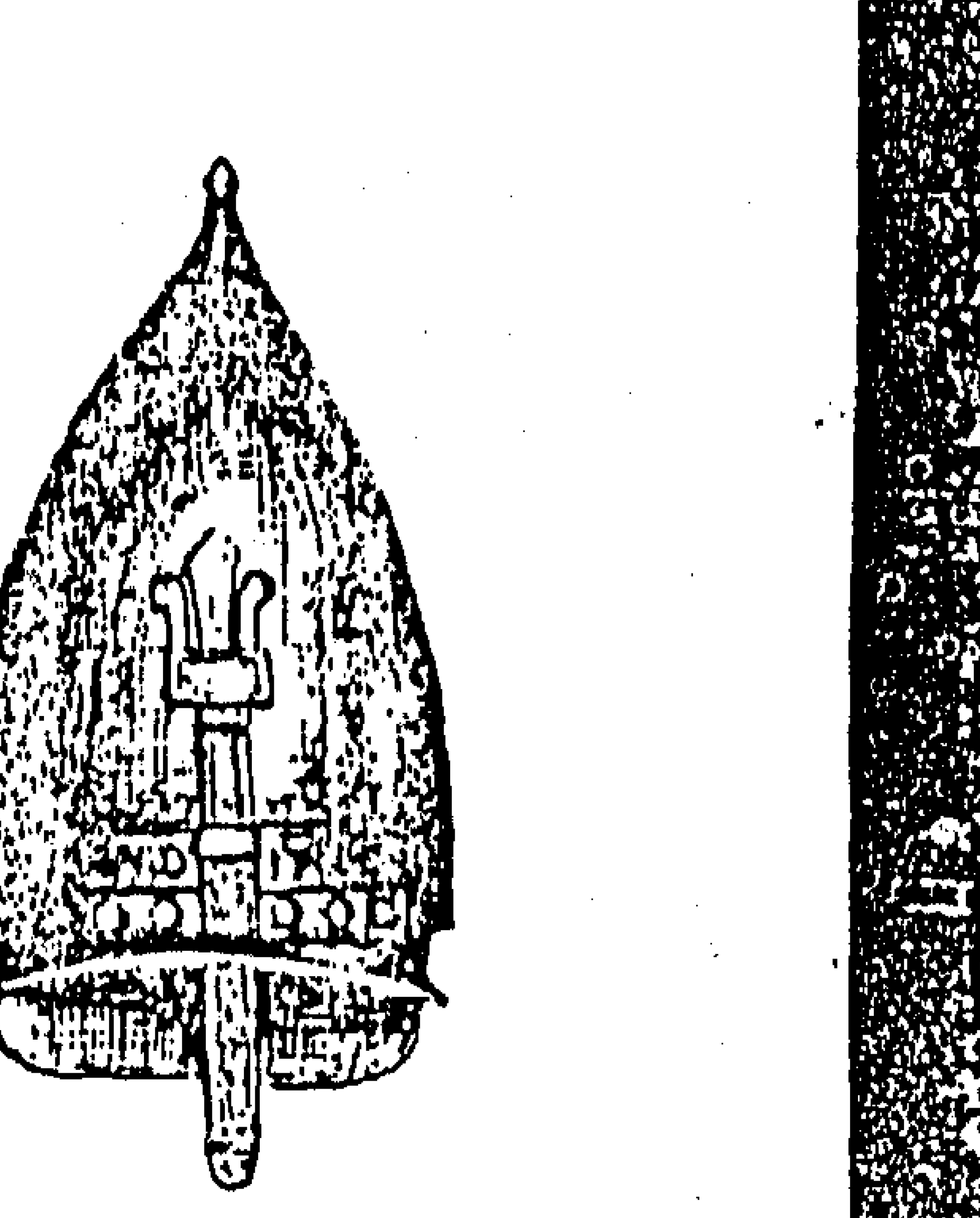
ـ الواقية:

مصنوعة من الحديد أو الجلد أو الخشب أو الشعر أو الوبر أو الصوف[2]. ويلبسها الفارس أثناء المعارك.

واقية يد



خوذة معدنية للسلطان برسباي المملوكي بمتحف اللوفر



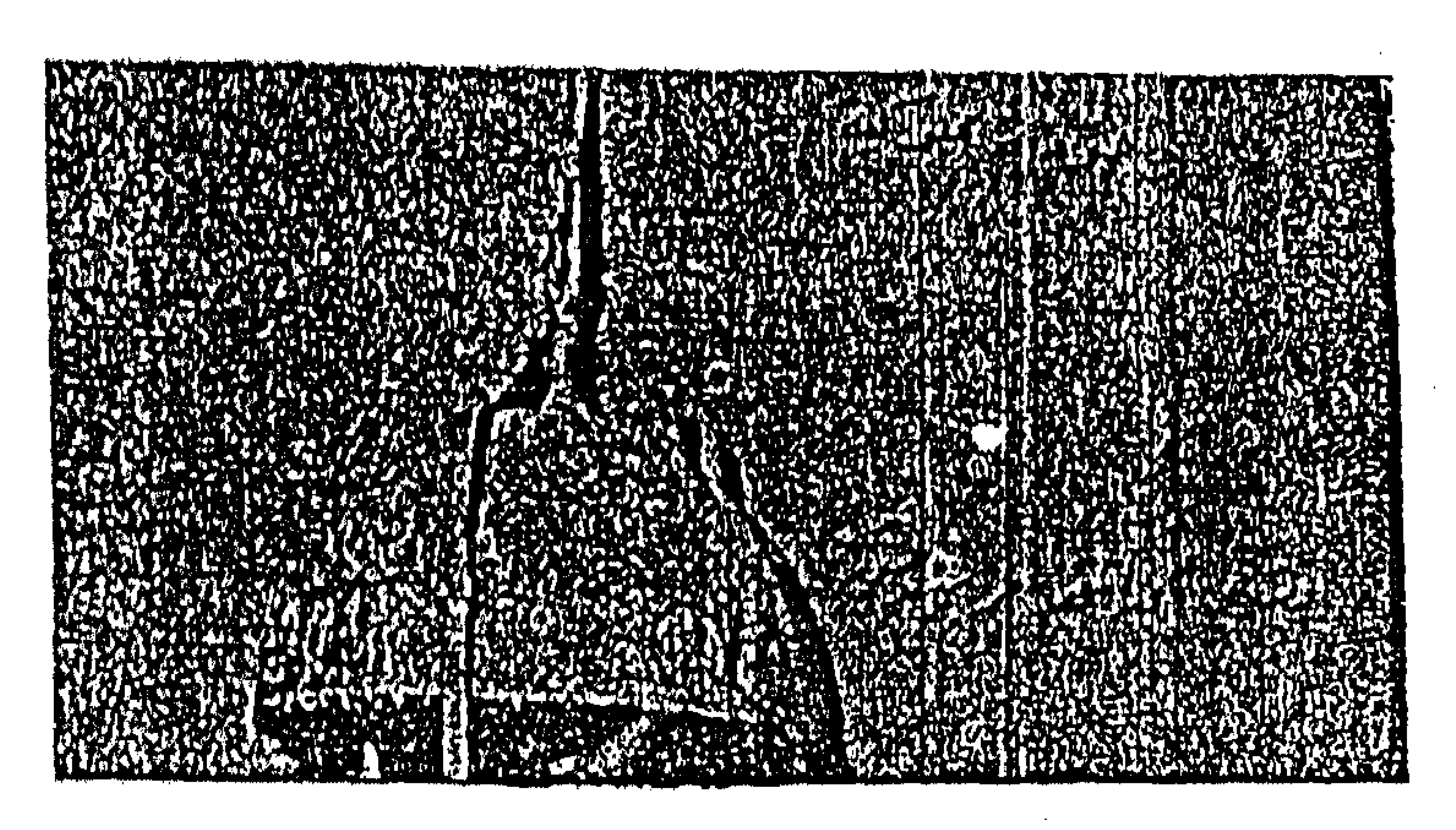
١: الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٠١، ابن الساعي: الجامع المختصر ٢٩٥، القلقشندي: صبح الأعشى ٢ / ١٣٥.

٢: الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٠١.

- الخوذة (البيضة):

هي الشكل المصنوع من الحديد أو الجلد أو الزرد، والتي تقي الرأس من الضربات[1]

خوذة مملوكية



تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق

[1]: النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢٣٩.

(١٦) المغفر ، هو كالبيضة من صفيحة تتصل بالبيضة من قفا المقاتل .

(١٧) الواقية . وهي من الحديد أوالجلد أوالخشب وغيرها يلبسها الفارس في المعركة .

ب . سلاح المدفعية . هو سلاح دفاعي جماعي وذخائره عبارة عن أحجار وكرات حديدية وقذائف نفطية ثم تطور ليعتمد على البارود ويستخدم لدك القلاع والحصون ولحمل المقذوفات النارية لإحداث الحرائق ويرمى ضد التجمعات الكبيرة من الجنود ومن وسائط هذا السلاح ما يلي :

(١) المنجنيق ، وهي آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف ومنها تكون كفة المنجنيق التى تحمل الحجر ثم تقذف وطورها المماليك .

(٢) مدافع النفط ، وتسمي مكاحل النفط أو المكاحل وهي التى يرمى عليها النفط والمواد المشتعلة التى تتحد مع النفط لتنتج ناراً تحرق الأبنية والمزارع .

(٣) مدافع البارود . يرمى بقوة مع البارود ضد القلاع والحصون ، والجيش المملوكي أول من إستخدم هذا السلاح .

جـ . سلاح النفط والنيران . استخدم في عين جالوت وفوجيء المغول به حتى لا يُرَى في سماء المعركة الا النار والدخان تلتهم الأخضر واليابس وتقضى على التجمعات ، ولهذا السلاح وسائط نذكرها فيما يلي :

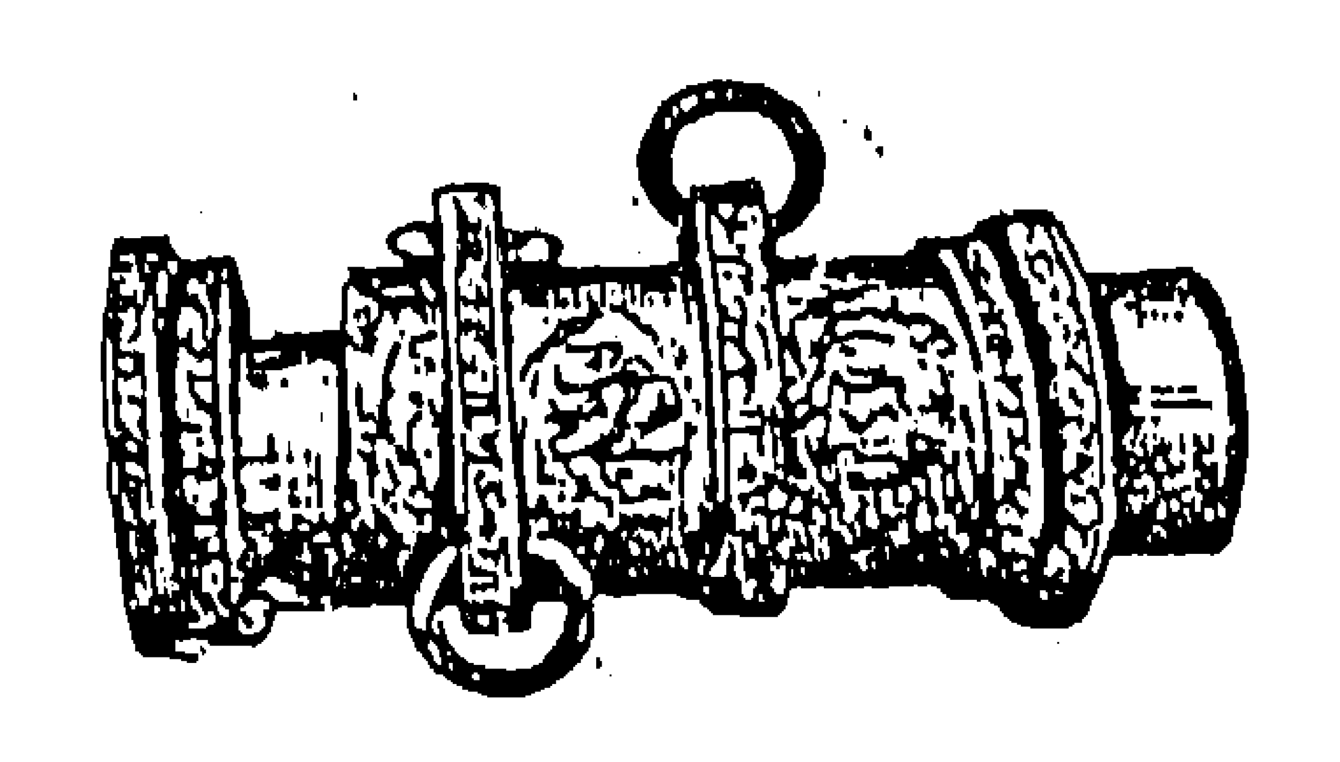
(١) الجرخ . وهى آلة ترمي النفط المشتعل كما ترمي البندق والسهام .

(٢) السهام الحارقة والقدور الحارقة والقنابل الفخارية .

(٣) الرماح النارية . تحمل النفط والنار .

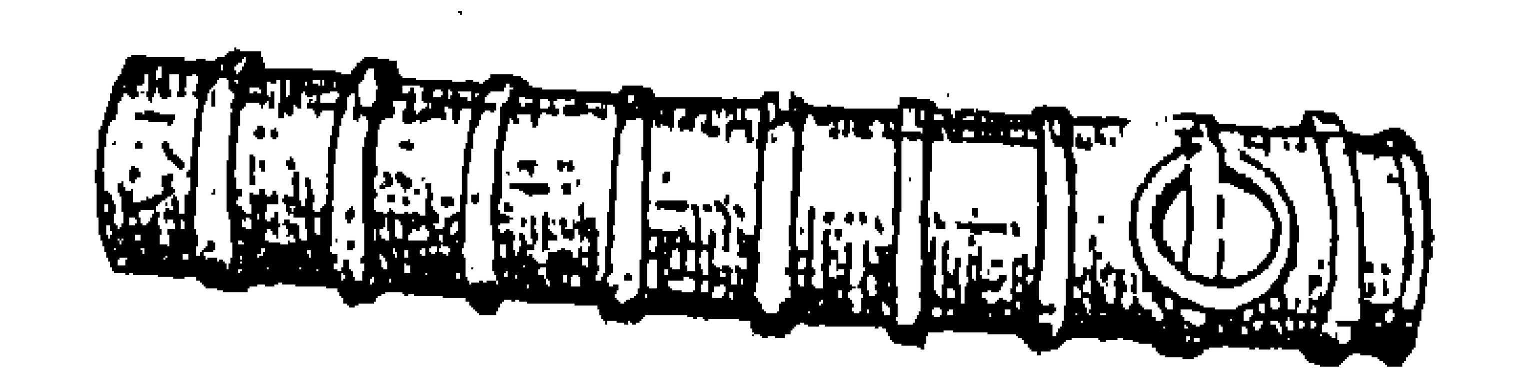
(٤) صواريخ النفط توجه ضد الأهداف والمراكب فتشعلها .

(٥) كمكات النفط والقنابل الموقوتة والزراقة وهي عبارة عن اسطوانة خاصة من حديد يوضع فيها المزيج النفطي والمواد المشتعلة .



مكحلة (مدفع)   تصويرا عن المتحف العسكري باستانبول

سبطانة مدفع   تصويرا عن المتحف العسكري باستانبول

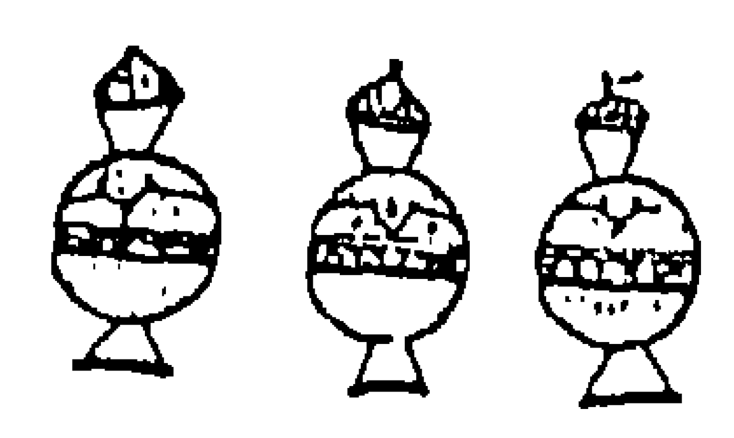


سلاح النفط والنيران

ر جل أمام فارس يحمل دبوساً يرش منه النيران ، وأما الفارس فلديه قوارير (قنابل محرقة) .



قوارير نفط يتسلح بها الرجل أو الفارس ليلقيها على الأمكنة المراد حرقها .



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح .

سلاح النفط والنيران

دبوس ملفوف عليه لباد مشبع بالنفط لحرق أبواب القلاع والحصون .



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدن الرماح .

(٦) الدبابيس الحارقة والشعلات والخلائط النارية والمرآة الحارقة ضد الأهداف المراد حرقها .

(٧) الكبش عبارة عن عربة لدك القلاع وأبواب الحصون .

د . سلاح الهندسة العسكرية . ويتألف من المهندسين والنجارين والحجارين والعمال والأخصائيين ، من مهامه شق الطرقات أمام تقدم الجيش وصيانتها وبناء القناطر وحفر الممرات ونصب الجسور لعبور الأنهار والمياه وغير ذلك ، ومن وسائطه القتالية ما يلي :

(١) الجرافات – العلوفات – القطاعات –المنشار – الصفائح .

(٢) القضبان الحديدية والأخشاب وشبك الرصاص وحبال القنب المشدودة لشق الطرق وهدم الأسوار ونصب الجسور .

(٣) الدواليب والحفارات لحفر الآبار واستخراج المياه .

هـ . السلاح الكيميائي . ويتألف من المواد الحارقة من الشحوم والقطران والزيت والنفط والجير والبول والمركبات العديدة توضع في أوعية وتقذف على تجمعات العدو والأماكن المحصنة وعلى السفن والبيوت وتعمل دخاناً خانقاً أو غازاً أو ناراً تؤثر على البشر وعتادهم ومن وسائطه الكفيات عبارة عن قدور فخار محشوة ومدوره كالقنابل اليدوية وتلقى على التجمعات والسفن والحصون .

و . سلاح الدبابات . ومن أهم وسائطه الدبابة وهي من الخشب القاسي وتغلف بالجلد وتدهن بمادة ضد النيران وتستخدم في هدم الأسوار والقلاع والحصون ومن وسائطه أيضاً الكبش وهو نوع من الدبابات المتوسطة الحجم لها رأس في مقدمتها قوي وثقيل وطوروها لتصنع من الحديد لتواجه سلاح النفط

ز . السلاح البحري . ويقسم الى نهرية نيلية أو بحريه واداريه فالبحرية للقتال والإدارية للنقل . ووسائطها القتالية الستائر لوقاية الأسوار والسفن من الأسلحة الهجومية ، والمدفع ومكاحل البارود والمجانيق وقدور



« الكبش »

نقلاً عن كتاب (صناعة وتزيين وأستعمال الأسلحة والدروع في كل البلدان والعصور)

جورج كاميرون ستون (George Cameron Stone)

الحيات والعقارب والأسلحة النفطية والمركبات الكيميائية فإنها أيضاً وسائط لا تختلف عن وسائط القتال البرية ، ومن وسائطها الخاصة اللجام وهو كالرمح المضلع في مقدمة السفينة لخرم السفن المعادية . والكلاليب وهي من حديد مثبتة في حبال من قنب تلقى على سفن العدو فتوقفها ثم تجر وتلقى الألواح من الخشب بين السفينتين وينشب القتال داخل السفينة وكذا الفؤوس وهي قاطعة للكلاليب [1] .

٤ . التدريب .

أدرك المماليك كغيرهم من دول العالم أهمية التدريب العسكري لقواتهم المسلحة التي كان عليها أن تحارب في ميادين متعددة ، الأمر الذي يتطلب منها تدريباً راقياً وتسليحاً وإعداداً على مستوى المسؤولية والأحداث ولذلك فما يكاد المملوك يبلغ سن الرشد حتى ينخرط في سلك الجيش ويتم تدريبه على يد أناس متخصصين ، كما تم تعليمهم في مرحلة سابقة على يد علماء وفقهاء عينوا لهذا الغرض6 (فتربوا تربية خاصة سواء في تثقيفهم أو تعليمهم فنون الحرب والقتال وخصصوا لذلك ثكنات عسكرية في قلعة الجبل عرفت بالطباق كان عددها اثنى عشرة طبقة واسعة تشبه كل منها حارة كبيرة تشتمل على مساكن عديدة تتسع لحوالى ألف مملوك ولا يسمح لهم بمغادرة المكان وكان السلاطين يشرفون بأنفسهم على تربية مماليكهم ويتفقدون أحوالهم) [2] . ولقد تدرب

(١) اللواء الركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت (دمشق : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، السنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص ١٩٧ - ٢٤٠ ، بتصرف .

لمزيد من الإيضاح انظر د. عبدالله سعيد محمد سالم الغامدي : جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين (أم القرى : جامعة أم القرى ، الطبعة ..... السنة ١٤١٠هـ) ص ٢١٨ - ٢٤٢ ، د. علي ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية مطبعة الشبكش بالأزهر ، الطبعة الثانية السنة ١٩٤٨م) ص ٢٧٤ - ٢٨٤ ، د. أحمد محمد عدوان : العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي (الرياض : دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، السنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٥١ - ٧٨ .

(٢) المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين في الشام : د. شفيق جاسر أحمد محمود، مجلة الجامعة الإسلامية : المدينة المنورة ، العددان (٨١ ، ٨٢) ، محرم - جمادى الاخرة سنة ١٤٠٩هـ .

المماليك على جميع صنوف الأسلحة والتدريب عندهم هو التركيز على تأهيل الفارس لكي يدخل الحرب وهو على أتم إستعداد وكان القادة المسئولون يقضون أغلب وقتهم في التدريب وفي الميادين العامة والمناورات والبيانات العملية حتى يمكن بأن يقال هذا العصر كان عصر التدريب الحربي وسنتناول التدريب من نقاط متعددة كما يلي [1].

أ . صفات التدريب . من أبرز الصفات عند الجيش المملوكي .

(١) العمومية والشمولية . كانت تشمل المقدمة والمؤخرة والتشكيلات والقطاعات والوحدات والفرد والمجموعات والجندي كالقائد والبحرية كالقوات البرية وتتناول جميع أنواع التدريب والأسلحة .

(٢) ملازمة التدريب العقائدي مع التدريب القتالي . كان يدرب المقاتل على أصول العقيدة وأحكامها ونظرتها للجهاد فكان منهم من يحفظ القرآن والأحاديث النبوية في الصحيحين والفقه بالإضافة لتعليم التاريخ والأدب والشعر واللغات ثم ينتقل الى التدريب على ركوب الخيل من السهولة الى الصعوبة .

(٣) التدريب بشكل متواصل . وذلك في جميع الظروف والأحوال الصعبة وعلى إختلاف الأسلحة .

(٤) التخصص في التدريب . فكل مادة لها مدربون خاصون بها .

ب . المنشآت التدريبية . وهي الأمكنة المخصصة لتعليم المقاتل ويعد فيها إعداداً عقائدياً وقتالياً ويلتحق بالقطاعات والتشكيلات ليزيد من خبرته وممارسته للأعمال الحربية . فالمدرسة منشأة عسكرية عرفت بالطباق فيها كل

(١) اللواء الركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت دراسة بين الجيشين المملوكي والمغولي (دمشق : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، السنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص ٢٥٠ – ٢٦٨، بتصرف . لمزيد من الإيضاح ، أنظر د. أحمد محمد عدوان : العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي (الرياض : دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الطبعة ..... السنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ص ١١٧ – ١٢٤ ، بتصرف .

احتياجات الطالب حتى مصانع الأسلحة وما يتعلق بها وأيضاً المساجد ولا يعتبر مؤهلاً الا إذا قضى سنتين دراسيتين وخفضت في العصر المملوكي الثاني أما تعليم أولاد الامراء ففي منازلهم الخاصة ،ومن أمكنة التدريب البحار والأنهار ويشهد التدريبات السلطان نفسه أحياناً ويشرف على التدريب الديني والحربي جهازيسمى (الطواشى) ويشرف على الطواشي السلطان أو من ينوب عنه .

جـ . تدريب الصنوف والأسلحة . يجرى لجميع الصنوف البرى والبحري والهندسي والكيميائي والمدفعي والنفطي والفردي والجماعي ويشمل جميع الأسلحة وأهم التدريبات هو التدريب القتالي الذي يتميز بالتنسيق والتعاون مع جميع الصنوف ويؤديه العسكر كانه حقيقي وأمامهم العدو ،وأهم التدريبات في الجيش المملوكي .ا

(١) التدريب على الخيل وهي المرحلة الأولى ويتدرب على تمثال ثم على الخيل الحقيقية ،وتدريب الخيل على عبور الأنهار والمشى بين الأشجار والصعود الى الجبال والروابي والتسلق على الصخور وغير ذلك .

(٢) المرحلة الثانية يتدربون على وضع السرج والركوب بالسلاح .

(٣) المرحلة الثالثة الرمى وهو من أهم المواضيع التدريبية وله ميادين خاصة يتدربون على النشاب والقسى والأوتار وما إلى ذلك .

(٤) المرحلة الرابعة يتم التدريب على الرمي بالقوس من الصعود الى الهبوط والعكس ثم على الأهداف الثابتة والجندي متحرك الى غير ذلك .

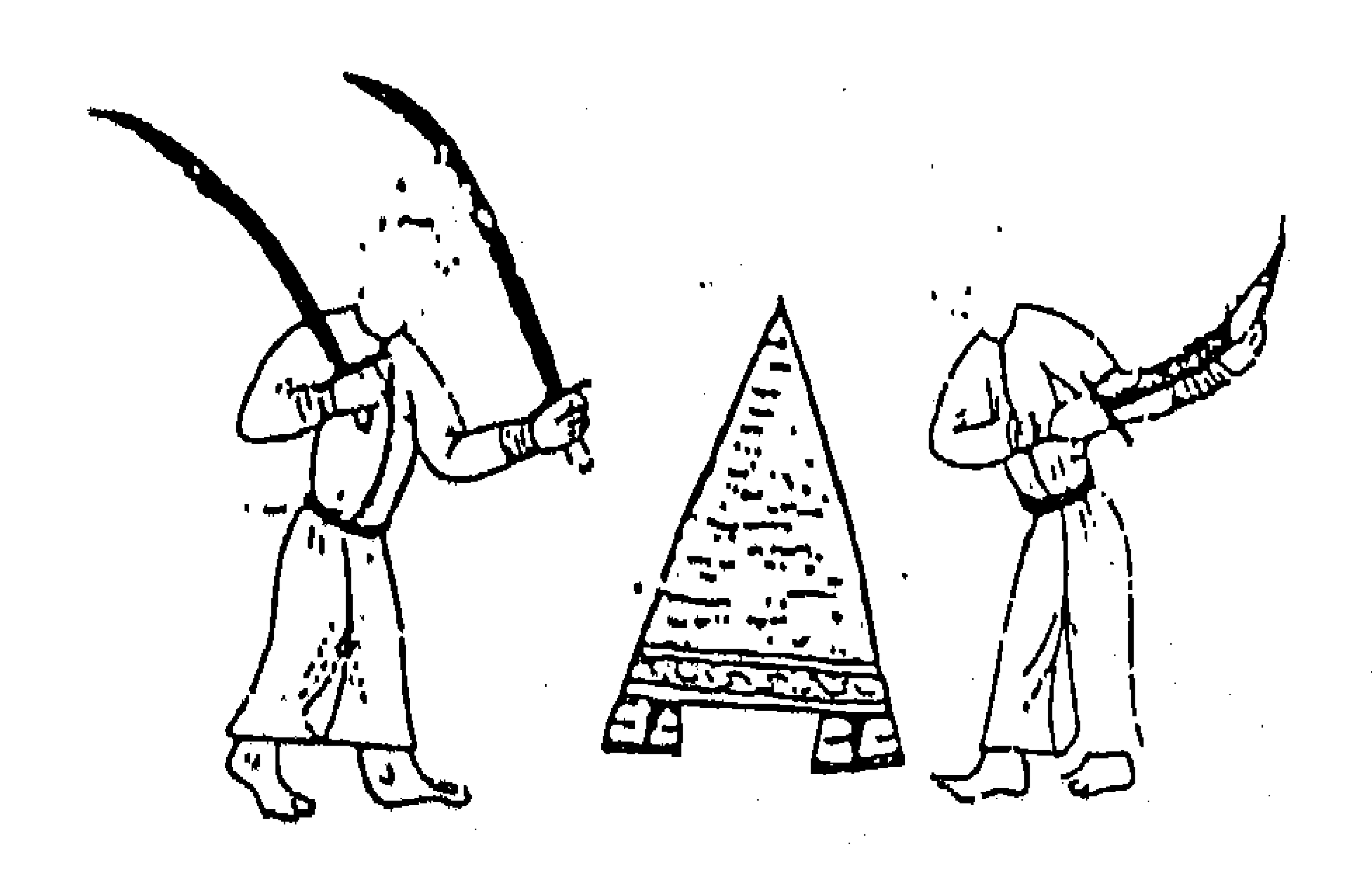
(٥) المرحلة الخامسة هي التدريب على الرمح سواء بإستخدام الخيل أو بدونها .

(٦) المرحلة السادسة . التدريب على استخدام السيف ويتدربون على نقل السيف من مكان لآخر وضرب الخصم في المناطق الحساسة .

(٧) ينتقلون إلى نمط معين ونظام خاص للقتال وهو قتال الصفوف .

(٨) التدريب على اللياقة البدنية ومنها الصيد ولعب الصولجان والمصارعة واللنجة .

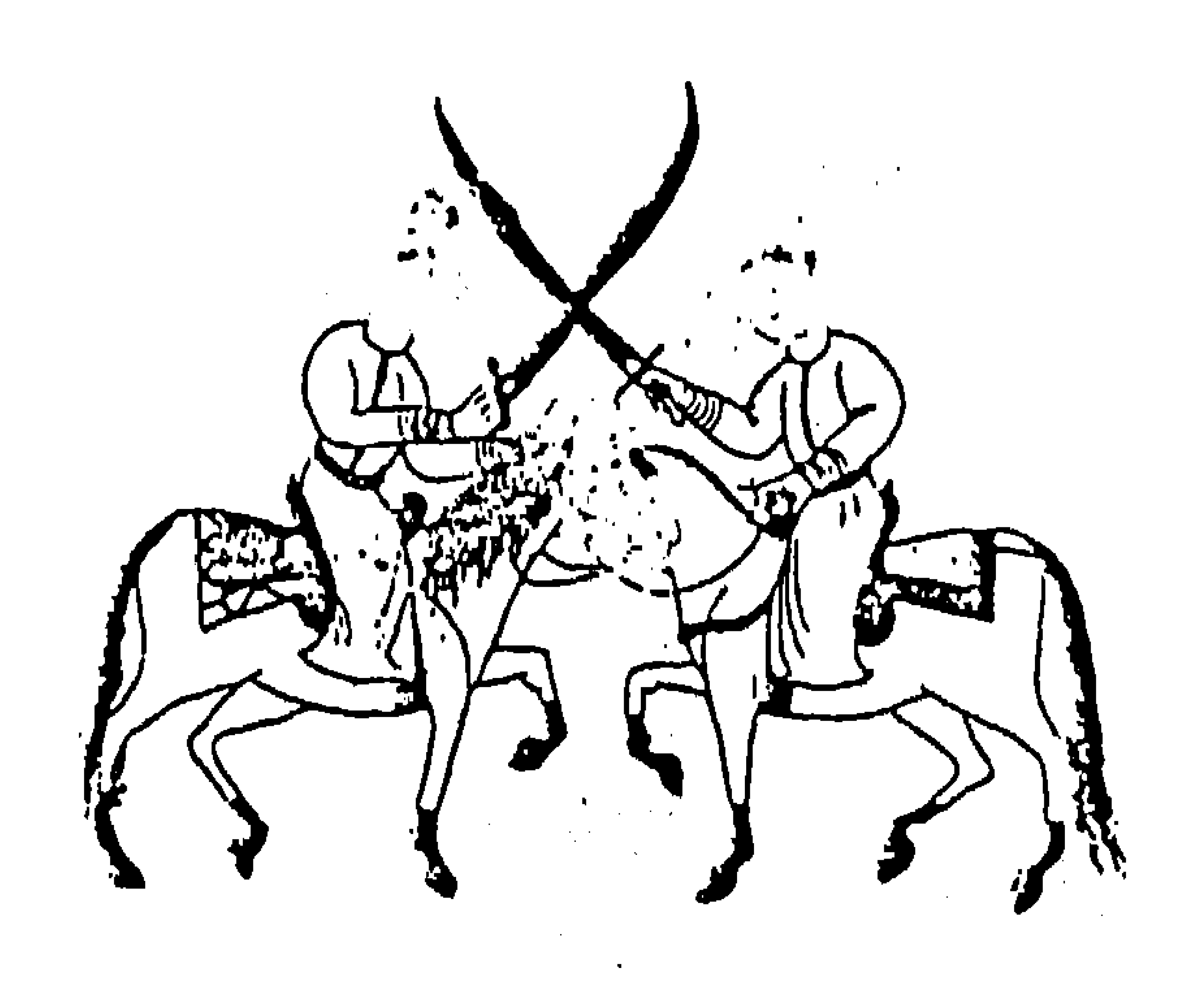
التدريب على الضرب بالسيف على الصومعة



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح .

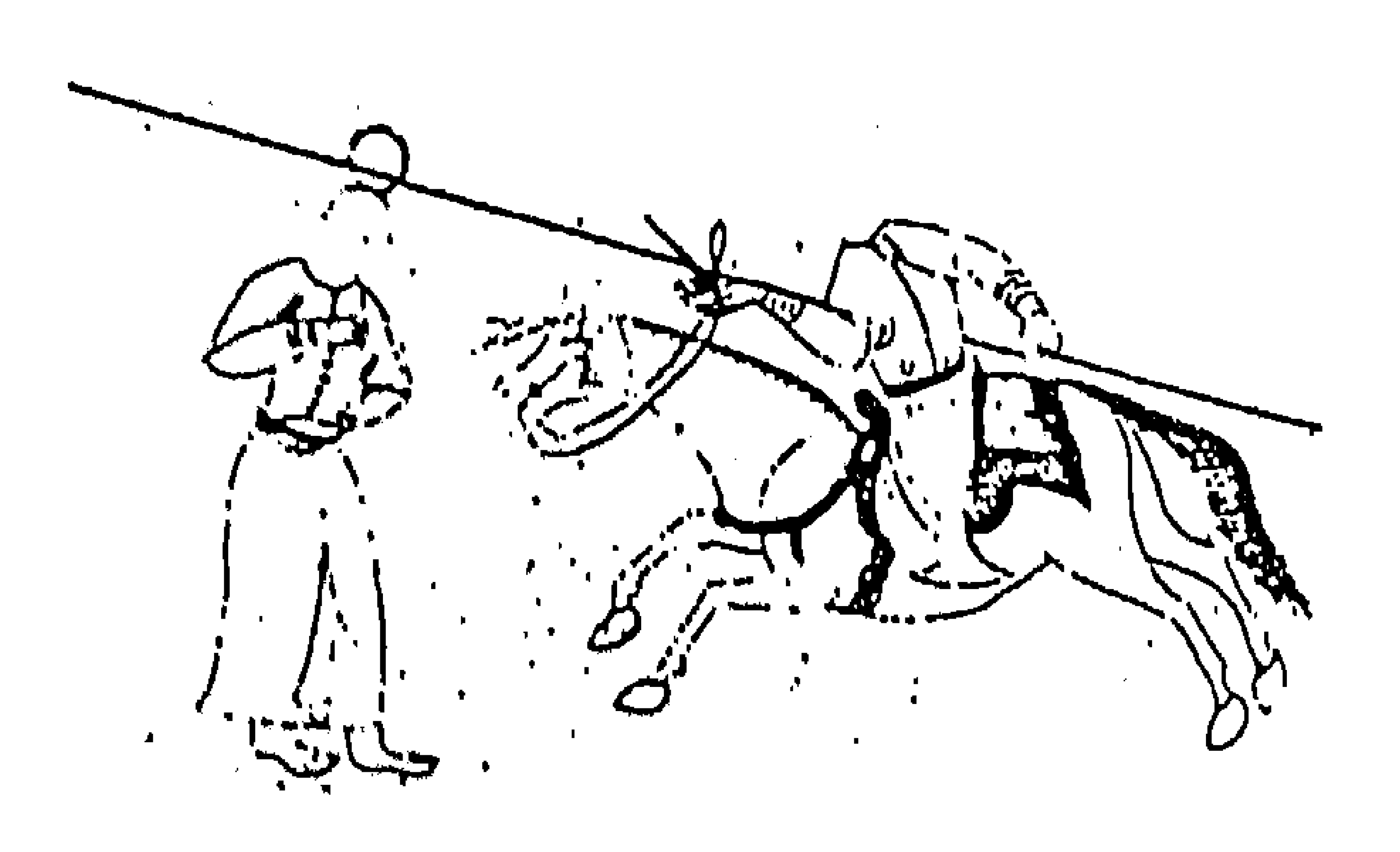
المرجع ، د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق

فارسان مملوكيان المنازلة بالسيف.

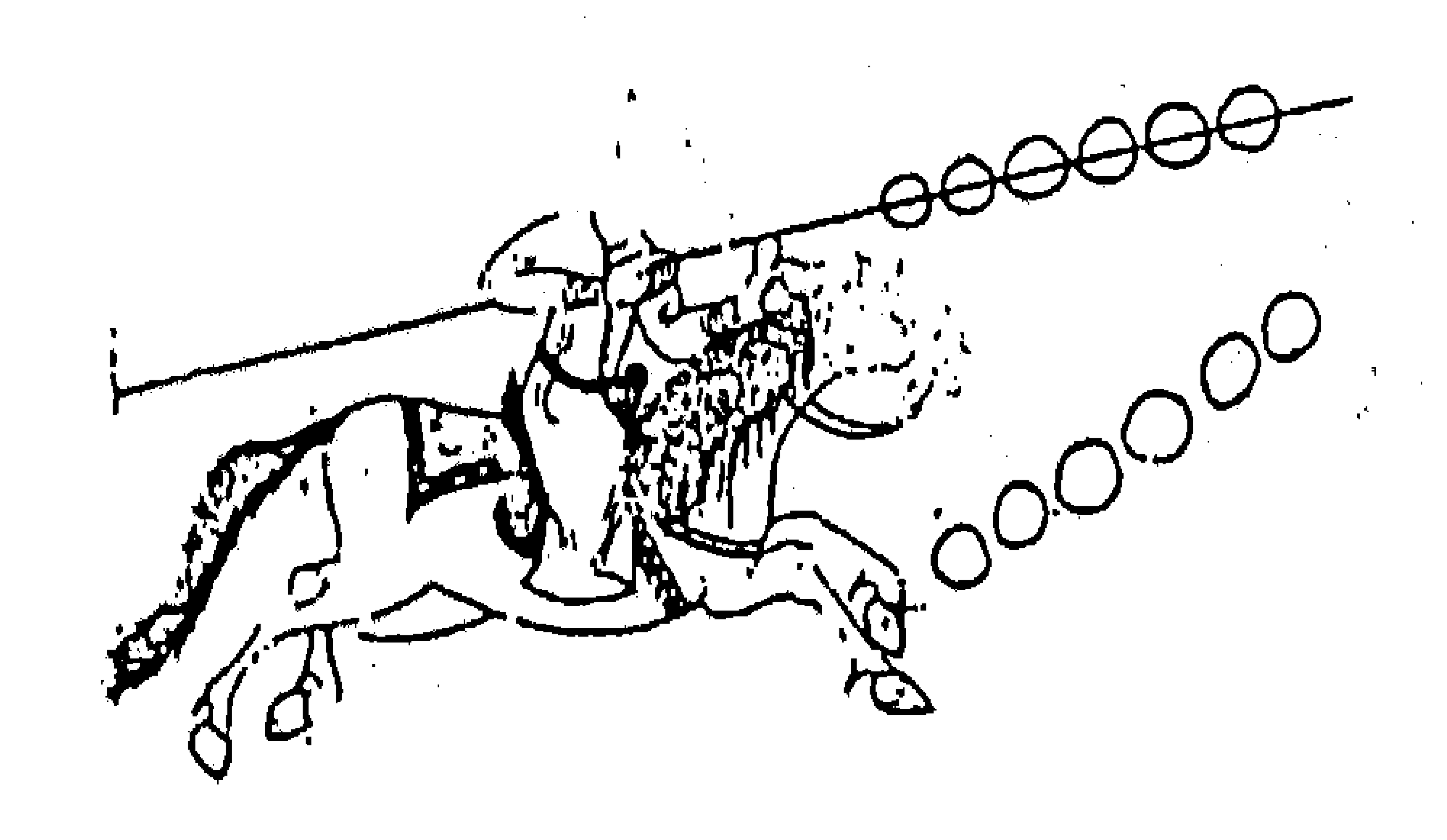


عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح.

المرجع السابق



فارس مملوكي يتدرب على أخذ الكرة من على رأس رجل.

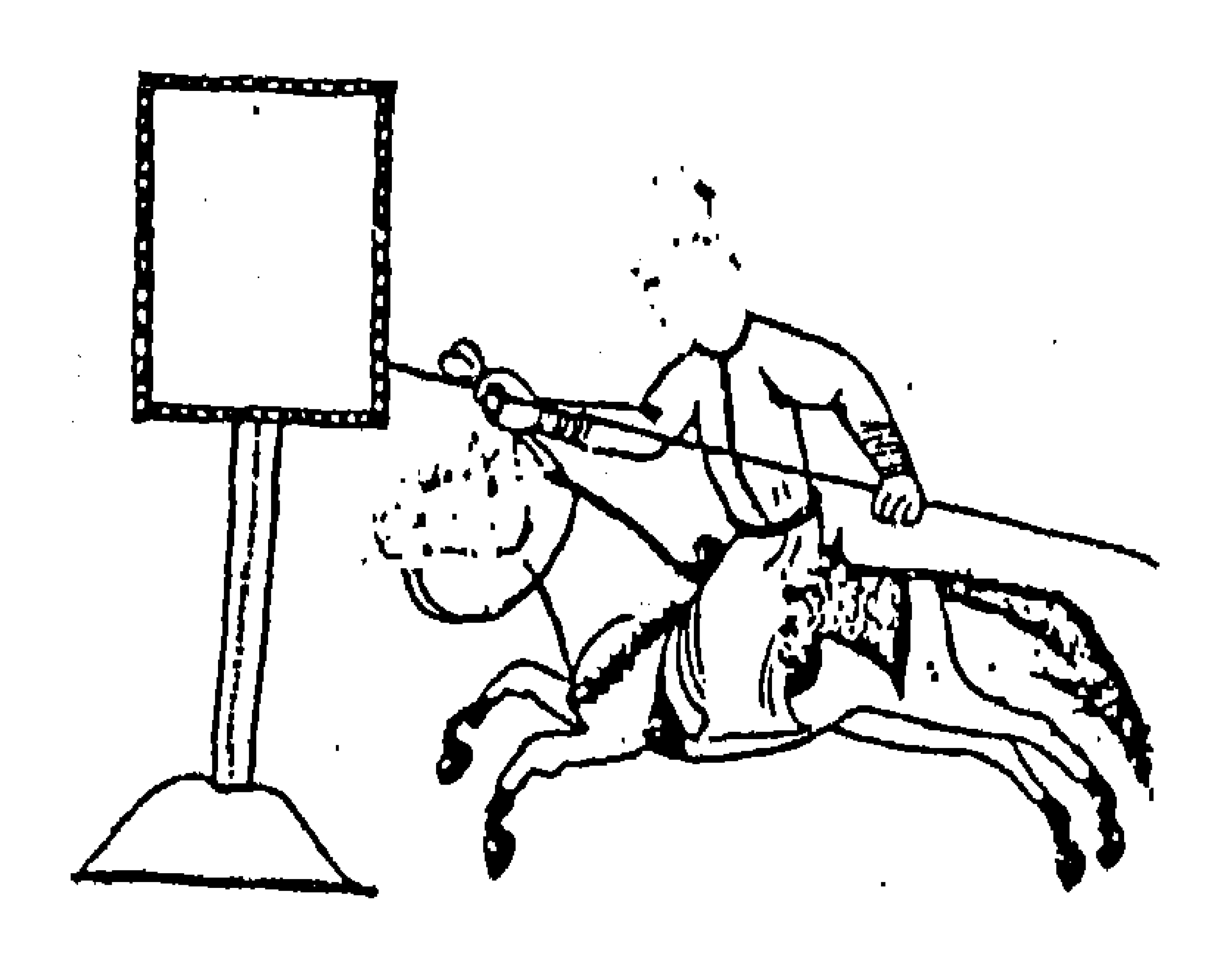


فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات الست في طلق واحد ويجمعها في يده اليمنى.

عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح.

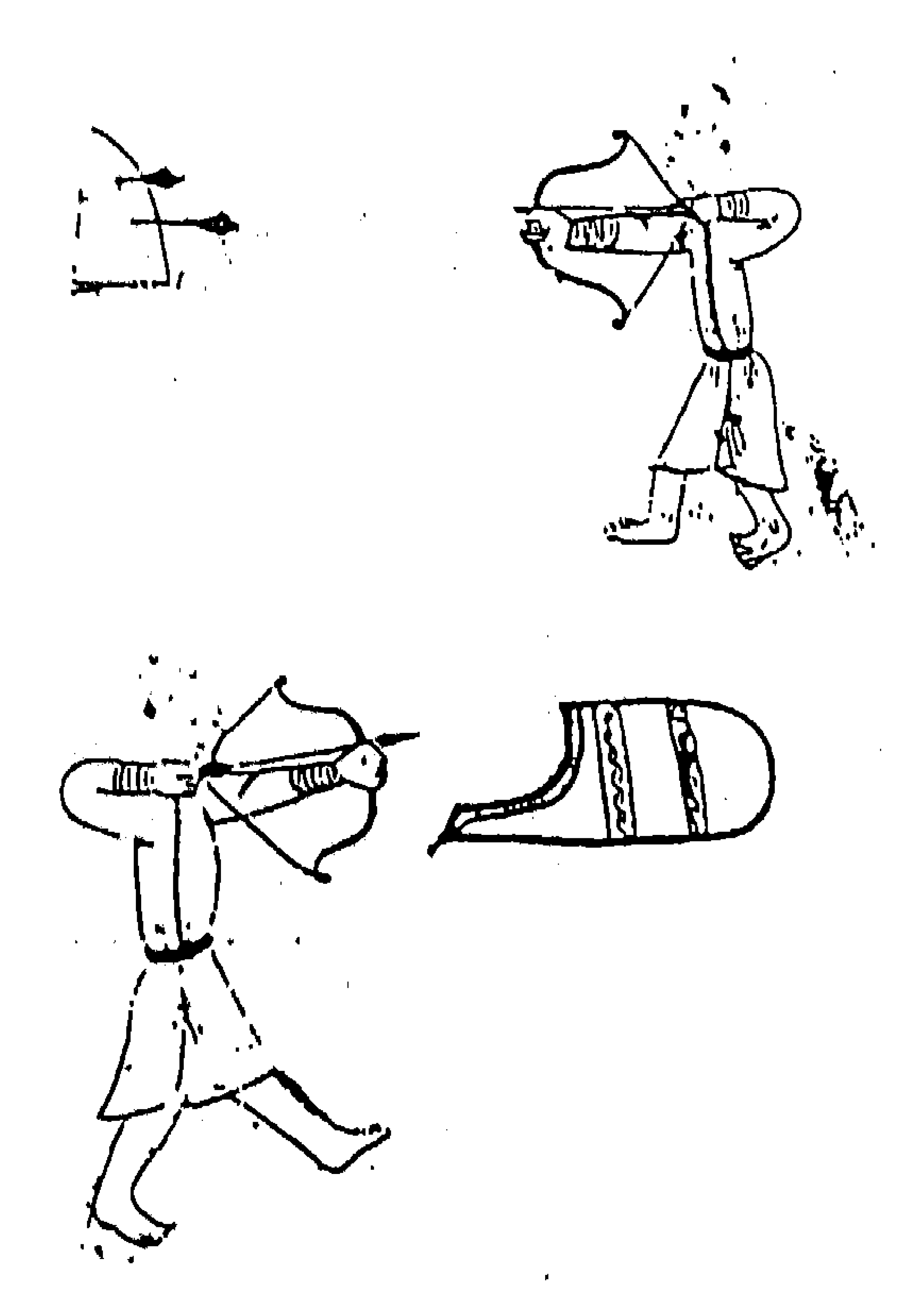
المرجع السابق

تدريب على الرمح القصير وكيفية التقرب من الخشبة.



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

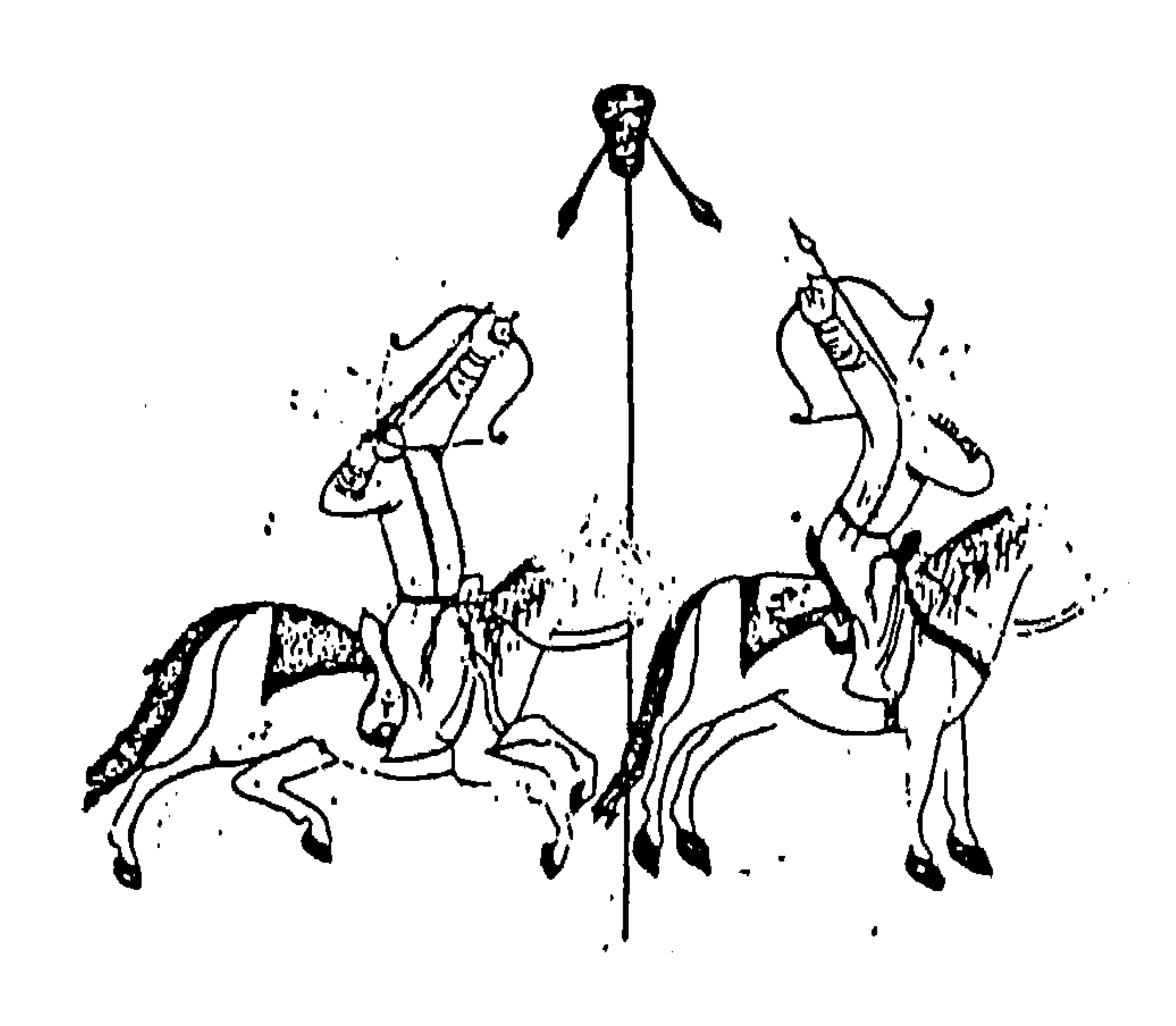
المرجع السابق



هنا الراجل يرمي ويتدرب على أهداف مختلفة قريبة من الواقع القتالي.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

المرجع السابق

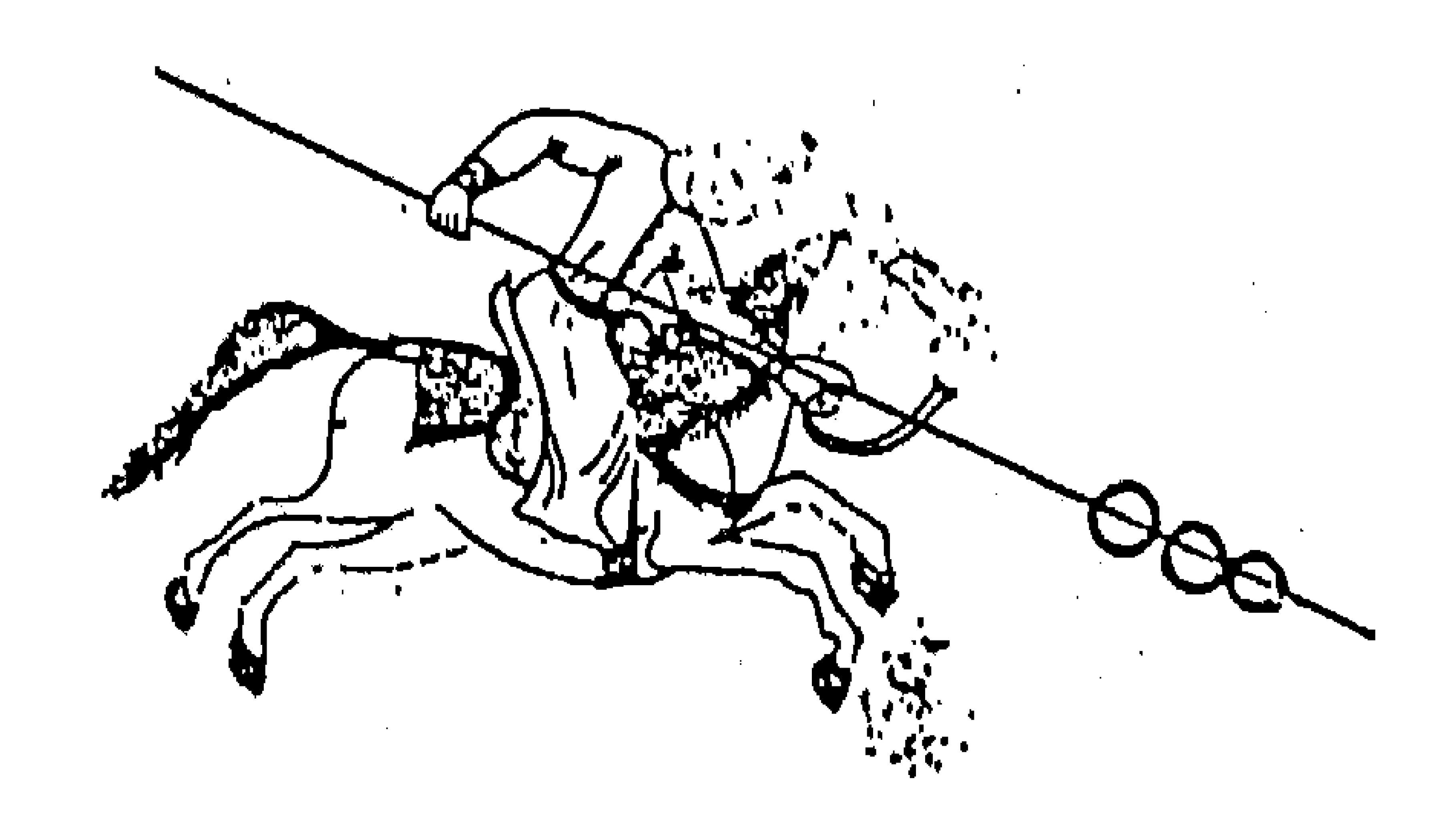
التدريب على النشاب بأوضاع مختلفة وعلى أهداف متنوعة.
هنا على الفرس ورمي القبق.

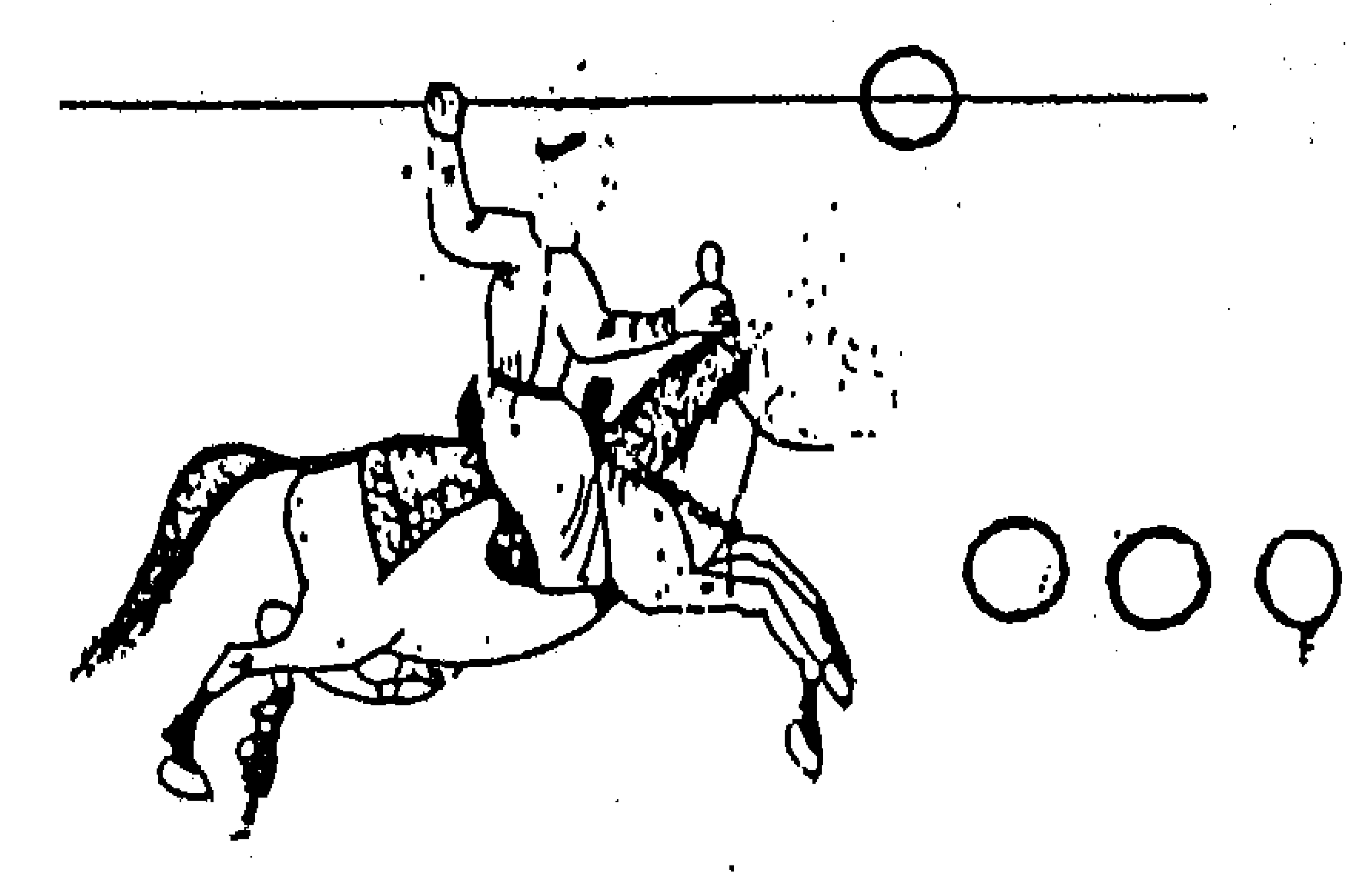


عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

المرجع السابق

فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات واحدة بعد واحدة من أرض الميدان بسنان الرمح.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح.

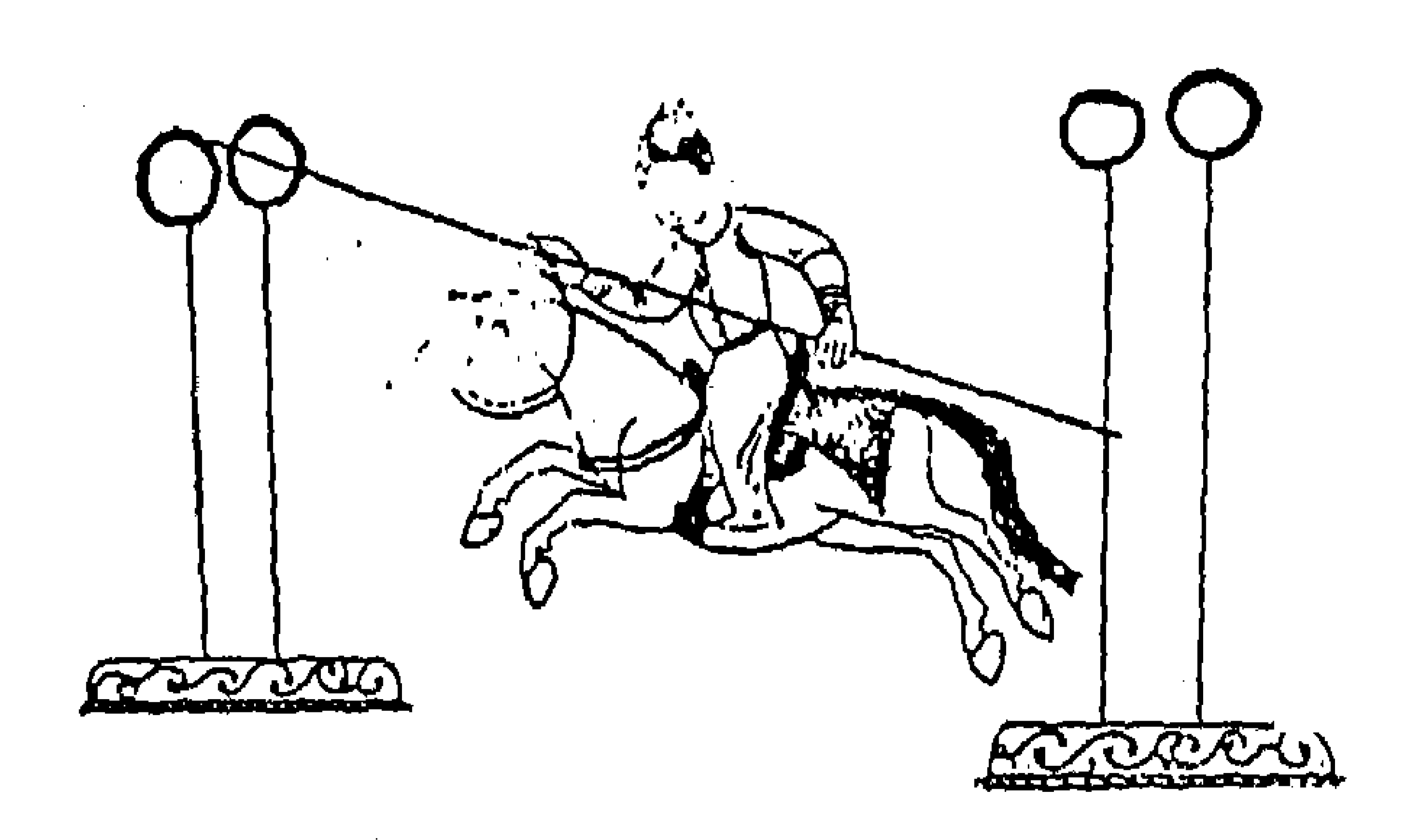


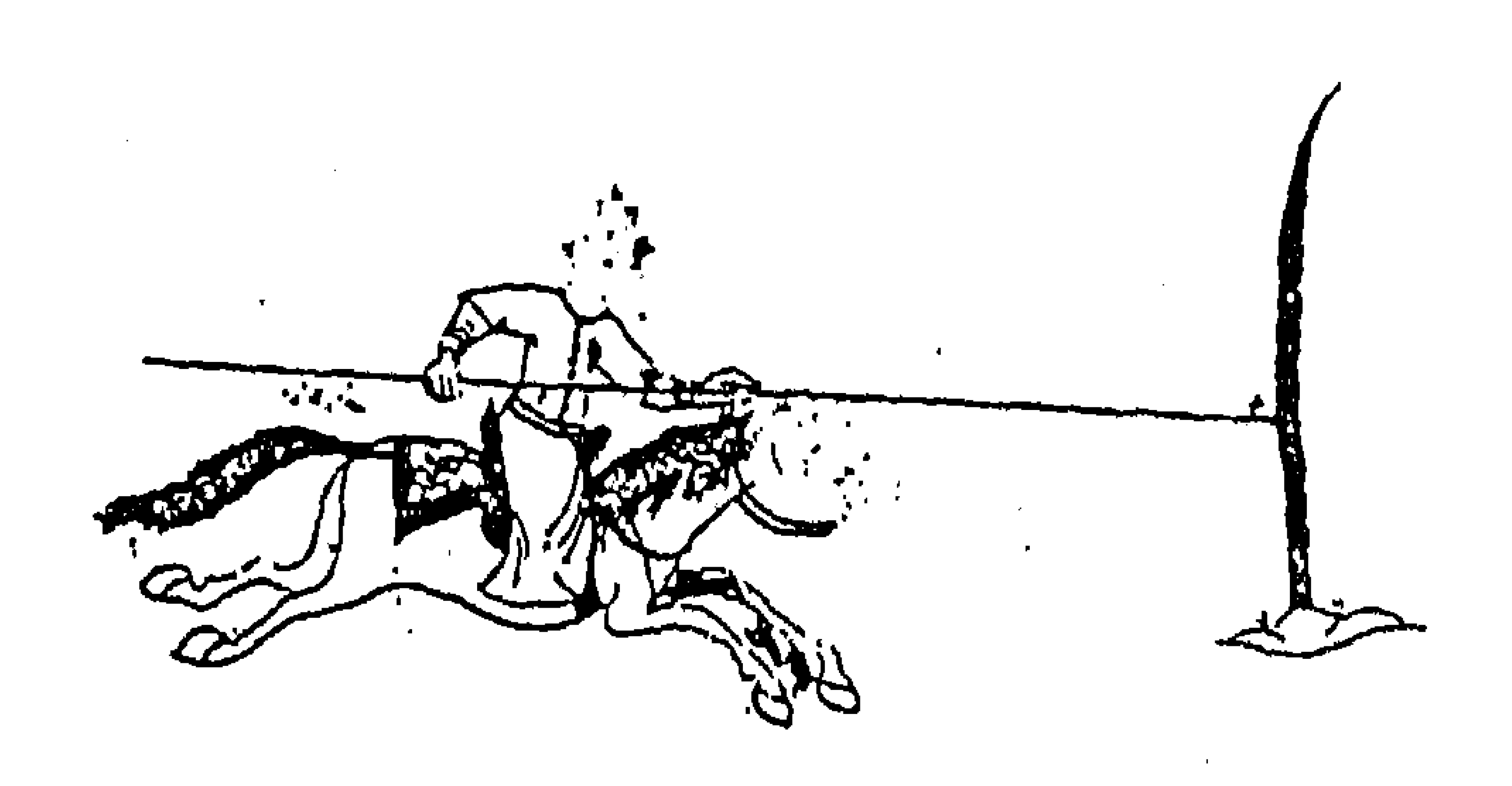


فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات من وسط الميدان والفرس في حالة الجري.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

المرجع السابق

فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات من على قائمين يميناً ويساراً.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.





فارس مملوكي يطق سيفاً قائماً على حرفه برمح بلا سنان.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

المرجع السابق

(٩) التدريب البحرى . لم يهتم به قادة الجيش المملوكي إلا بعد موقعة عين جالوت فاولاه بيبرس اهتماماً كبيراً بعد أن استلم القيادة لشعوره بأهمية تقويته وتطويره ولطموحه لأن يسيطر على البحار وبخاصة البحر الأبيض المتوسط .

٥ . الأساليب القتالية .

اتبع المماليك في جهادهم أساليب متنوعة دلت على خبرتهم ودرايتهم بفنون القتال ، حسب مجريات الحوادث ، كما راعوا اختيار الوقت والمكان المناسب للإشتباك مع عدوهم فقد راعوا عند عزمهم على الجهاد درجة حرارة الجو ، فضلاً عن اختيار المكان المناسب الذى ستدور فيه المعركة باستدراج العدو الى المكان المناسب الذي يريدونه هم ، وراعوا أيضاً المواد اللازمة لجيوشهم وخيلهم ، كما حرصوا على مراعاة اتجاه الشمس كما حدث في عين جالوت ، كما إهتموا بتحصين بعض المناطق الهامة المعرضة للهجوم كما فعل بيبرس في الأجزاء الشمالية من بلاد الشام واهتم بالموقع الإستراتيجي والعسكري للأردن كملتقى للطرق والمؤن للمشرق الإسلامي بصفة عامة وبلاد الشام بصفة خاصة ، كما ردموا مصب النيل عند دمياط ورمى فيه صخوراً عظيمة لمنع سفن العدو ، وسنذكر بعضاً من الأساليب القتالية فيما يلي .

أ . كان الجيش يتألف من عسكر المقدمة ثم عسكر القلب حيث يكون السلطان بجنوده ، ثم عسكر آخر من ناحية اليمين ويسمى الميمنة وعسكر آخر من ناحية الشمال ويدعى الميسرة ثم فرقة أخرى من وراء العسكر كله تدعى الساقة وهذه هي الأصول المجمع عليها في تدريب جيوش المسلمين : أما الفروع كالطلائع والكمناء فهي كالنوافل غير الواجبة لاختلافهم فيها ، كما يدور السلطان بنفسه ويحثهم على الجهاد في سبيل الله في يوم المعركة .

ب . إرسال طلائع استكشاف يقوم بها طائفة من الجيش المملوكي وقد يعهد إلى هذه الطائفة بمهمة مناوشة العدو لاستدراجه الى معسكر المسلمين كما في عين جالوت .

جـ . الحرب الخاطفة ومباغتة العدو . من ذلك ما ذكره اليونيني من أن السلطان الظاهر بيبرس خرج من مصر (سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) قاصداً صفد ، وسار حتى نزل عين جالوت ، ومنها بعث فرقتين من عسكره للإغارة على الساحل فأغاروا على عكا وصور وعرقد وطرابلس وحلب وحصن الأكراد في يوم واحد .

د . أسلوب الكر والفر ، ففي سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) جرد السلطان بيبرس جماعة من العسكر بصحبة الأمير شمس الدين سنقر الرومي للإغارة على أنطاكية وعادوا بالغنائم . وفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) جرد جماعة أخرى من عسكره ورسم لهم الإغارة على «بلاد الفرنج » فساقوا وكسبوا وعادوا سالمين .

هـ . أسلوب التمويه والخداع منه ما ذكره الحريري من أن عساكر الإسلام اغارت في (سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) على أعمال صور وطرابلس ، ثم نزلوا على صفد ، وحاصروا الصليبيين بها أربعين يوماً وأخذت «بالخديعة» .

و . بث سراياهم في معسكرات العدو وممتلكاته لإضعافها بالنهب والسلب والتخريب ، من ذلك ما ذكره ابن عبدالظاهر في الروض الزاهر من أن «الغيّارة» أى السرايا توجهت في (سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م) من البيرة الى جهة كركر فأحرقوا بلدها وأخذوا مواشيها .

ز . نصب الكمائن وتكبيد العدو الخسائر الجسيمة من ذلك ما حدث (سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م) عندما هاجم المغول الشام ، حيث كمن لهم العرب من بنى تغلب فتوهم المغول أن عساكر كثيرة أحاطت بهم الأمر الذى كان له الأثر في هزيمتهم في هذه السنة .

حـ . أسلوب الترهيب للتأثير على أعدائهم من ذلك عندما تمرد الصليبيون على الهدنة التى عقدها بيبرس معهم فهددهم بقوله «إن بقيتم على العهد وإلا

فما لنا شغل إلا الجهاد» للنزول عند رغبته .

ط . حصار المدن والقلاع واستخدموا لذلك أسلحتهم الثقيلة كالمنجنيقات والدبابات والقلاع المتحركة وغيرها ، ويطالبون العدو بالإستسلام أولاً ثم يحاولون فتح ثقوب يدخل منها الجيش ويظل الرماة يطلقون على العدو سهامهم حتى لا يستطيع الظهور من أعلى السور وتعريض القوى الإسلامية المندفعة إلى الداخل للأذى[1] .

ى . أسلوب الحيل . أظهر المماليك آيات البطولة وضروب الحيل في الدفاع عن الوطن العربي ضد الأخطار الكبرى التى هددته من جانب التتار والصليبيين[2] .

٦ . القياده .

(لكل جيش قادة وأركان يتوقف عليهم نجاح الجيش أو إخفاقه ولهم الدور الكبير في الإنتصار علي المستويين التكتيكي والإستراتيجي وإن كان التدريب أوالتسليح والتنظيم يحتل حيزاً كبيراً في الحروب وفي نتائجها إلا أن القيادة تبقي الموجه الأساسي والعقل المدبر لبناء الجيش وتحديثه على أسس علمية متطوره ، وفن حربي إبداعي)[3] .

والجيش المملوكي يتمتع بأنظمة قيادية يختص بها . وسنتناول القيادة لدى المماليك من زوايا متعددة كمايلي :

أ . جرت عادة الدولة المملوكية عقد «مجلس الجيش» برئاسة السلطان وعضوية أتابك العساكر والخليفة وقضاة المذاهب الأربعة والأمراء المئين الذين

---

(١) د. عبدالله سعيد محمد سافر الغامدي : جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين (أم القرى : جامعة أم القرى ، رقم الطبعة ، سنة الطبع ١٤١٠هـ) ص ٣٢٩ - ٣٣٨ ، بتصرف . لمزيد من الإيضاح أنظر د. على إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، السنة ١٩٤٨م) ص ٢٧٠ - ٢٧٤ .

(٢) د. عبدالعزيز محمود عبدالدايم : الحيل في حروب دولة المماليك (القاهرة : مكتبة نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، الطبعة ٣ ، سنة ١٩٨٣م) .

(٣) اللواءركن الدكتور . محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ١٢٣.

بلغ عددهم أربعة وعشرين أميراً ، وكان الغرض من عقد هذه المجالس الإستشارة بآراء كبار الدوله قبل الإقدام على حرب من الحروب وجعل إعلان الحرب أمراً مشروعاً [1] .

والجيش لابد أن يكون له قائد عليه واجبات تتميز بمميزات خاصة نلخصها فيما يلي :

(١) أن يكون أميراً كبيراً من أعيان الأمراء وأقواهم نفساً وجناناً ، كامل العقل ، ثابت القلب ، تام الشجاعة وافر اليقظة ، كثير الحذر ، شديد العزم ، بصيراً بأحكام الحروب ومواضع الفرص ، عارفاً بالحيل والمكايد والخداع منها ، عالماً بتدبير العساكر وترتيب الجيوش .

(٢) أن يكون على درجة كبيرة من التدين والورع والتقوى ليكون قدوة حسنة لجنده في مسيرهم ونزولهم وقتالهم وأن تراعى فيه « الديانة وعدم الطمع وإلا فلا يصلح لما ندب إليه .

(٣) الإهتمام بمظهره وسلوكه ولياقته العسكرية .

(٤) يجب على قائد الجيش أن يحسن معاملة جنوده وخاصةً نقباء الجيش «وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم ».

(٥) أن يكون على دراية بتحديد واجبات أعوانه ، الرجل المناسب في مكانه المناسب ، وأن لا يباشر القتال بنفسه إلا إذا اقتربوا من الهزيمة ويبث فيهم روح الجهاد .[2]

ب . القيادات العسكرية والمؤسسات القيادية . بالإضافة للسلطان وهو قائد المماليك توجد قيادات أخرى نختصرها فيما يلي .

(١) الأمير الكبير (الاتابك) وهو أمير الأمراء وهي وظيفة تعلو كل وظيفة وهو القائد العام للجيش والقوات المسلحة .

---

(١) د. عبد العزيز محمود عبد الدايم : الحيل في حروب دولة المماليك ، مرجع سابق ، ص ١٦ . لمزيد من الإيضاح . د. علي إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ ، بتصرف .

(٢) د. عبد العزيز عبد الدايم : الحيل في حروب المماليك ، مرجع سابق ، ص ١٨-٢١ . بتصرف .

(٢) أمـيـر سـلاح ويكون من أمـراء المئـة وهو مـقـدم (السـلاحـدارية) وظيفته تولي أمور السلاح الخاص بالسلطان أو الأمير .

(٣) أمير مجلس السلطان أو الأمير وحراسته والمسئول على الأطباء والشؤن الطبية والأدوية .

(٤) أمير دودار الكبير . حمل دواة السلطان أو الأمير وتقديم البريد .

(٥) أمير آخور الكبير وظيفته تامين شئون الخيل والإبل .

(٦) أمير راس نوبة وظيفته التحدث مع مماليك السلطان وتاديبهم .

(٧) أمير حاجب الحجاب . وهو أقرب المقربين للسلطان وبيده تصريف الأمور ومرافقة السلطان .

(٨) أمير خازندار الكبير . وظيفته حفظ الأموال وتوزيعها تبعاً لأوامر السلطان أو الأمير .

(٩) أمير جاندار وظيفته تنفيذ عقوبة القتل للأمراء المخطئين .

(١٠) أمير طبر . وظيفته مرافقة السلطان أو الأمير .

(١١) أمير علم . وظيفته تولي أمور الأعلام والرايات .

(١٢) أمـيـر المنزل المسؤل عن حـراسـة المنازل والبـيـوت للسلطان والأمراء.

(١٣) أمير غيبه . يتولى الأمور في غياب السلطان أو الأمير .[١]

ج . التشكيلات المقاتله . وهي تشمل أمير خمسة جنود وأمير عشرة وأمير عشرين بين الجماعة والفصيلة وأمير أربعين وهو قائد فصيلة وأمير خمسين إستثنائي وأمير ثمانين فارساً وأمير مئه يقابله قائد سريه وأمير ألف والوف وهو أعلى تشكيل وأمير مئه مقدم ألف يخدمه ألف مملوك . والسلطان أو أحد أمراء الألوف يقود جيش في حدود أربعة آلاف جندي فاكثر فإذا قاده السلطان

---

(١) اللواء ركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ١٤٧-١٥٤، بتصرف.

بنفسه سمي جيش «الزحف» كما يقود السلطان مجموعة جيوش ويسمى تشكيل إستراتيجي كبير يزيد على اثني عشر ألفاً[1] .

د . القيادات الإختصاصية والإدارية في الجيش المملوكي نذكر منها .

(١) ناظر الجيش ويرأس ديوان الجيش مهمته إستعراض العسكر وخيولهم ويساعده نقيب الجيش وصاحب الديوان .

(٢) الإستادار(الإستدار) وظيفته قبض مال السلطان وتوزيعه والمسؤل عن المطابخ وله علاقة بالإمداد والتموين في العمليات العسكرية .

(٣) المهمندار وظيفته إستقبال الضيوف ويشبه العلاقات العامة اليوم .

(٤) الجاشنكير . وظيفتة ذوق المأكل والمشرب قبل السلطان للتأكد من خلوه من السموم ونحوه .

(٥) الأوجاقي . وظيفته التحضير لركوب الخيل من النفر إلى الحرب وغيره ويقوم بحراسة الأمير .

(٦) المشرف . ويشرف على صحة الطبيخ ونظافته .

(٧) الساقي . وظيفته سقي المشروب ووضع الطعام ورفعه .

(٨) الجوكاندار . وظيفته حمل الجوكان للسلطان للعب بالكرة .

(٩) البسمقدار . ويكلف بحمل نعل السلطان أو الأمير .

(١٠) الجمدار . وظيفته إلباس السلطان أو الأمير ثيابه .

(١١) شاد السلاح ويتولى شئون السلاح . إلى غير ذلك من الوظائف الإدارية[2] . ومن ذلك نعلّم الدقة في الوظائف والقيادات عند المماليك .

٧. الإستخبارات[3] .

إهتم قادة المماليك بهذا الإختصاص كبيبرس الذي كان شديد التأثر . يهمه أن

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٤- ١٥٨، بتصرف .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٧ - ١٧٣ ، بتصرف .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ - ١٩٢ بتصرف .

يرى ما يصنع مرؤوسوه . فبث منهم من كان قادراً علي جلب المعلومات بصدق ووثوق، ولقد أرسل قطز ورئيس أركان الجيش بيبرس الدوريات وبث العيون واعتمدا على الأهالي الذين كانوا يتجاوبون مع طلبات الجيش على حقد المغول وتصرفاتهم لذا فالمعلومات كانت تصل تباعاً إلى هيئة أركان الجيش المملوكي في حين أن الجيش المغولي لم يعتمد كثيراً على الإستطلاع بل اعتمد على قوته وشدته في الحروب.

وهناك الكثير من الجواسيس والعملاء الذين ينقلون أخبار الأعداء للمماليك . وكان المماليك يتلقون الأخبار من الأسرى والمهزومين عن القوة الخفية وكان قادة الجيش المملوكي يرسلون حراسات متقدمة عبارة عن مخافر تصنت وإنذار من مهامها نقل المعلومات عن العدو وتحركاته، ومنهم صارم الدين أزبك الذي قبض عليه المغول عندما إجتاحوا حلب فسكن بقربهم فوثقوا به فنقل الأخبار للمماليك . بالإضافة إلى عمال البريد الذين كانوا يكلفون بمهام مخابراتيه بالإضافة إلى نقل البريد الحربي، لذلك كان من الأسباب الصحيحة التي تلقاها قادة الجيش المملوكي وبنوا قرارهم على هذه الصحة فكان القرار سليماً والنصر محققاً وخاصة ما حدث في عين جالوت .

٨ . الإدارة (الشئون الإدارية) .

هي مجموع الأجهزة التي تتولى أمور التنظيم والإعداد والتأمين المادي والمالي والطبي والنقل والطعام والملابس والإيواء والسكن ويتوقف تقدم القوات أو تأخرها ونجاحها وفشلها على قوة المؤخرة في كل بلد ، فالإقتصاد القوي يجعل المؤخرة قوية وبالتالي يجعل الجيش قوياً باعتدته وسلاحه، لقد كانت القاعدة المادية عند الدولة المملوكية بين مد وجزر وكانت تتالف من الزكاة والخراج والعشور وأجور أملاك الدولة والضرائب تارةً ترتفع وتتوفر الوسائط المادية وتارةً تضمحل ويسود الجوع والفقر وفي نهاية الحكم أصاب المواد الأولية نقص

كبير وبخاصة الأخشاب والحديد والمواد التي تصنع منها الأسلحة .

ولقد نسي القاده المماليك دورهم في التامين الإداري وكانت مؤخرة القوات المسلحة لديهم خفيفة وكان مكتفياً بالمحطات المحلية في مكان المعركة وإعتماد المقاتل على نفسه ويخصص للمقاتل راتباً ليؤمن به ما يحتاجه ، وتخزن المواد الضرورية لدى الأمراء وفي أمكنة التمركز ، وفي القلاع والحصون وهي مواد مجففة للتخفيف عن كاهل الجيش والمقاتل على السواء ، ويتولى أمور الطعام من تامين نقل وحفظ وتخزين وإستلام وتسليم جهاز مؤلف من عدد من العناصر ومن الوظائف «الخوان سلار» ، «المرقدار» «والمهتار» «والساقي» وكثرت المطابخ في العصر المملوكي وعندما تدق طبول الحرب كان السلطان يمنح المقاتلين المبالغ اللازمة ، ويصرف لهم الطعام الناشف والعليق لخيولهم ودوابهم ، والتعيين العملياتي الذي يرافق الجندي أثناء القتال وفي التحرك يتالف من البقسماط مثل خبز التوست في وقتنا الحاضر ، واللحم المقدد ويجدد من المحطات الإدارية أو من الوسائط المحلية المتوفرة ، كما يوزع في المناسبات والأعياد وشهر رمضان وفي نهاية التدريب الناجح ، ويتفقد الطعام من قبل القادة والمسئولين ، كما اعتنى الجيش المملوكي باللباس والإشارات التي تميز الضابط الأمير عن الجندي ، واعتنوا أيضاً بالخدمة الطبية ، وقسموها إلى طب ميداني وأهلي وطب خاص .

كما اعتنوا بالمستودعات المعدة لتخزين المواد وحفظها واستلامها وتوزيعها وتوجد فقط على مستوى القاعدة وهي مركزية وأهم المستودعات . مستودعات الأسلحة ومستودعات الطعام ومستودعات المفروشات والرواحل والسروج ومستودعات الأدوية والمستودع الخاص يتجمل السلطان أو الأمير أو الوزير ومستودعات الكتب ، كما تختص الإدارة بالرواتب والتعويضات ، وللرواتب ديوان تصدر بمنشور سلطاني ، وتختص بالغنائم وتشكل مصدر التموين للجيش وتوزع طبقاً للشريعة الإسلامية ، ويعامل الأسير حسب الحالة ، كما تختص بالنقل عن طريق الدواب من

الجمال والبغال والحمير، وتتحرك خلف القوات، وكذا المراكب البحريه تستخدم في النقل، وتختص أيضاً بالاشغال العسكرية وهي المكلفة بالإيواء وإستخراج المياه وفتح الطرقات وتنشيء الطباق والمنشات والخيام، كما تختص بالمكاتبات والمراسلات وتتحكم في حجم الورق والكتابة على الجانب الأيمن إلى غير ذلك من المهام (1) .

٩. التموين .

إن الجيوش سواء القديمة والحديثة تحتاج إلى التموين حيث يشكل عنصراً هاماً من عناصر النصر، فإن المقاتل لا يستطيع أن يواصل إلا إذا توافر له التموين اللازم من المأكل والملبس والمشرب وغير ذلك من الذخيرة التي يحتاج إليها المقاتل وفي عصر المماليك كان التموين هاماً سواء للمقاتل أو الخيل حيث يحتاج الجميع إلى التموين ليواصل قتاله ولا يضعف بسبب قلة هذا التموين، واهتم المماليك بتوفير التموين اللازم سواء للإنسان فكانوا يقدمون له طعاماً جافاً بالإضافة إلى المطابخ الكثيرة والبقسماط واللحم المقدد ويعوض التميين العملياتي بعد استهلاكه من المحطات الإدارية أو من الوسائط المحلية المتوفرة .

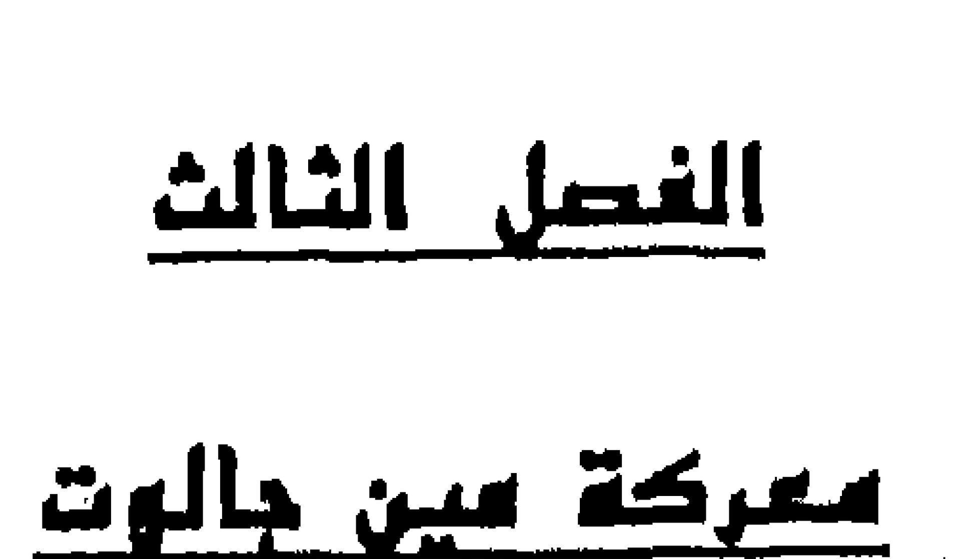
وأما الخيل فكانوا يصرفون طعامهم وعليقهم للجنود وكانت مؤخرة القوات المسلحة تتولى تأمين الطعام والملابس والذخيرة والأسلحة والخدمة الطبية والنقل، وكان يتولى أمور الطعام من تأمين وحفظ وتخزين وإستلام جهاز مؤلف من عدد من العناصر والوظائف، والطعام مجاني للجميع كما يوزع منحاً في حالة المناسبات كما يوجد مستودعاً لتخزين المواد والعتاد وحفظها وإستلامها وتوزيعها، وكانت الغنائم تشكل مصدراً من مصادر التموين للجيش المملوكي .

لذا فالتموين من أهم العناصر اللازمة في المعركة حتى يقاتل الجنود وهم أقوياء في الجسم وخفة الحركة (2) .

---

(1) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ – ٢٧٥ ، بتصرف .

(2) اللواء الركن د. محمد ظاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠-٢٧٢ ، بتصرف .



الفصل الثالث

معركة عين جالوت

الموقف العام .

الموقف الخاص .

طبيعة الأرض .

قوات الطرفين .

خطط الطرفين .

سير المعركة .

نتيجة المعركة .

الدروس المستفادة .

الفصل الثالث

معركة عين جالوت

١ . الموقف العام .

كان الموقف السياسي بعد استيلاء هولاكو على بغداد يحتم على القوة الإسلامية توحيد صفوفها وتناسي خلافاتها وإنهاء صراعاتها وأحقادها ، بل والمبادرة بحشد كافة الإمكانيات المتاحة لمواجهة ذلك الخطر الداهم ، غير أن المصالح الشخصية البحته والنظرة السياسية الضيقة ظلت تتحكم في سياسة حكام المسلمين في تلك الفترة [٦] فما أن ضرب هولاكو ضربته في بغداد ثم عاد إلى أذربيجان استعداداً للإستيلاء على المزيد من البلاد الإسلامية حتى هرع إليه في معسكره في المراغة بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل بنفسه وقدم ولاءه له ، وكذلك أتابك فارس أبوبكر الذي أرسل ابنه سعداً لتهنئة القائد المغولي لاستيلائه على بغداد [٦] كما ذهب سلطان سلاجقة الروم كيكاوس الثاني وأخوه قلج أرسلان الرابع لهولاكو أيضاً [٦] أما الناصر يوسف الأيوبي حاكم الشام فقد رأى في انتصار هولاكو في بغداد فرصة سانحة لتحقيق أطماعه فاسرع بإرسال إبنه الملك العزيز إلى القائد المغولي طالباً منه النجدة ليأخذ مصر من المماليك فتظاهر هولاكو بالموافقة وشرط الدخول في طاعته فلما سمع المماليك البحرية الهاربين إلى الشام واستقروا عند الناصر يوسف بخبر قرب جيش هولاكو فارقوه إلى الملك المغيث عمر بالكرك وحرضوه على مصر غير أن الهزيمة لحقت بالمغيث وحلفائه المماليك على يد قطز . نائب السلطنة عند الصالحية[٧] . وفي الوقت نفسه وقعت الحرب بين الناصر يوسف حاكم دمشق وحلب وبين المغيث عمر حاكم الكرك في

عام (٦٥٧/١٢٥٩م) حيث لحقت الهزيمة بالمغيث بالقرب من أريحا ،وفي ذلك الوقت قد أتم هولاكو الزحف على بلاد الشام بمشاركة هيثوم ملك أرمينيا ، ومباركة البطريرك الأرمني ، ودخل هولاكو منطقة الجزيرة فاستولى على نصيبين ثم حران ثم الرها كما قتل سكان ساروج الذين قاوموه وأرسل إبنه أشموط على راس قوات من المغول للهجوم على ميافارقين واشترك مع أشموط فرق عسكرية من الأرمن والجورجيين ومع أن الناصر يوسف رفض تقديم المساعدات التي طلبها الملك الكامل الأيوبي حاكم ميافارقين ، إلا أن حصار المغول لهذه المدينة قد طال لإستماتة حاكمها في الدفاع عنها حتى قبض عليه المغول وقتلوه ، وعندئذ إجتاح المغول المدينة وذبحوا عدداً كبيراً من سكانها المسلمين ، في حين نجا المسيحيون واحترمت كنائسهم وآثارهم المقدسة ،وعبرت قوات هولاكو الفرات في اتجاه مدن الشام الرئيسية ، وشعر الملك الناصر بخطأ اتصاله بأعداء المسلمين فأرسل إلى قطز يطلب المساعدة لمواجهة العدو المشترك ، فاستشار قطز المقربين وأشعرهم بخطر المغول ثم قبض على الملك المنصور وعزله من منصب السلطنة بحجة صغر سنه وعجزه عن دفع الأعداء ،وكتب قطز للملك الناصر كتاباً ترفق له فيه وأقسم له بالأيمان لا ينازعه في الملك وأنه اي قطز بمثابة النائب عنه في ديار مصر ومتى حل بها أقعده على الكرسي، وواصل هولاكو تقدمه إلى حلب فحاصرها في صفر سنة (٦٥٨ هـ / يناير ١٢٦٠م) ورفض حاكمها تورانشاه الإستسلام وبعد ستة أيام تمكن المغول وحلفاؤهم من الإستيلاء على المدينة وفي مدينة حلب دخل ملك أرمينيا المسجد وقتل خلقاً كثيراً وأحرق الحائط القبلي منه وحرقوا الأسواق والمدارس برغم الأمان الذي منحه هولاكو للسكان ، ولما سمع أهالي دمشق بالمذابح في حلب عرفوا أن حمص وحماه أصبحتا للمغول وأسرع الناصر يوسف بالهرب لحدود مصر لكنه خاف من قطز فقبض عليه المغول عند بركة زيزاء وظل أسيراً ثم قتلوه بعد معركة عين جالوت ، ولما غدت

دمشق دون قيادة ذهب وفد من سكانها بالهدايا لهولاكو وسلموا له مفاتيح المدينة وأظهروا طاعتهم للقائد المغولي ودخل كيتوبوقا دمشق ومعه قواته وكذلك الملك هيثوم والأمير بوهمند السادس وتميز المغول للمسيحيين فتمادى المسيحيون في العداء للمسلمين وحولوا المساجد لكنائس وشربوا الخمر في رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات وأبواب المساجد ووجدت أحداث كبرى في حضرة المغول إستدعت عودة هولاكو بسرعة من مسرح العمليات العسكرية في بلاد الشام بسبب وفاة أخيه القائد الأعظم منكو خان في الصين وبحدوث نزاع بين أخويه الآخرين قوبيلاي وأريق بوقا على ولاية العرش ، ويميل هولاكو لأخيه قوبيلاي . بالإضافة إلى التهديد الذي واجهه من ناحية قريبه خان القجاق المسمى بركه خان الذي إعتنق الإسلام ووجه اللوم إلى هولاكو لارتكابه المذبحة في بغداد . ويقال أن الناصر يوسف هون عليه قوات المماليك [1] .

٢ . الموقف الخاص .

كان من نتائج سقوط بلاد الشام في أيدي المغول وحلفائهم أن عم الرعب والخوف سائر أرجائها فهرب الناس بإتجاه الأراضي المصرية التي كانت تنبىء بظهور قوة جديدة فاعتلى العرش سيف الدين قطز وخلع الملك المنصور علي بن المعز أيبك الذي كان صغير السن ضعيف الشخصيه وذلك بمشورة كبار الأمراء في الأراضي المصرية وأقسم له الأمراء بيمين الولاء والتبعية في السبت السابع عشر من ذي القعده (سنة ٦٥٧هـ/نوفمبر ١٢٥٩م) كما أقنع السلطان قطزخصومه من أمراء المماليك البحرية الذين هربوا إلى بلاد الشام وعلى رأسهم بيبرس البند قداري بالعودة لمصر متناسين ما بينهم من الخلافات . واستقبل الأمراء العباسيين والأيوبيين أحسن إستقبال وطيب خاطرهم وعطف عليهم بالعطايا

(١) د. أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (شبرا القاهرة : مطبعة الببلاوي ، الطبعة الأولى ، السنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ص ٥٢ - ٦١ بتصرف .

والأموال فاستقروا بالاراضي المصرية وأصبحوا يكونون جزءاً هاماً من جيشه ويعوض عدم وجود الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت، فاصبح موقف قطز وقيادته يتوقف عليها مدى نجاحه في صد المغول ودحرهم فكان الإمتحان الحقيقي لدولة المماليك الفتية، كما طلب قطز من الامراء الايوبيين في بلاد الشام الذين إنضووا تحت لواء المغول التخلي من تبعيتهم للمغول الذين زعزعوا كيان المسلمين فاجابه الاشرف صاحب حمص إلى ذلك كما طلب من الصليبيين السماح لقواته باجتياز الأراضي الساحلية التي تحت أيديهم وبشراء ما تحتاجه الجيوش الإسلامية من المؤن، فاجتمع البارونات الصليبيون في عكا للتشاور في هذا الطلب فايدوا إستعدادهم لبذل المساعدة العسكرية للسلطان قطز غير أن مقدم طائفة الرهبان أنو سانجر هاوسن (ANNO SANANGERHOUSEN) أنذرهم متى إنتصر المسلمون على المغول لم يامنوا جانبهم فتدارك قطز هذا فشكرهم حينما عرضوا عليه أن يسيروا معه نجدةً وإستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه كما إستدعى قطز شيخ الإسلام العز بن عبد السلام واخذ رايه في جمع الأموال اللازمة من المسلمين لتجهيزالجيش المملوكي، فقال له لا يؤخذ من العامه مع بقاء مافي أيدي الجند من الأموال والالات فنفذها قطز وجمع ما عند الأمراء من حلي وأموال وذهب ووضعها بين يدي الشيخ، وبهذا التصرف اضفى الشرعية على أحقيته بالسلطنة كما نتج عن ذلك رفع الروح المعنوية لدي الجميع، وبهذا تغلب على جميع المشاكل بالإضافة إلى إعلانه التحدي بقتل رسل هولاكوالذين جاءوا ليحذروه وينذروه بانهم سيغزون بلاده فعليه الإستسلام، وفي هذه الظروف ترك هولاكو قيادة الجيوش وعاد إلى عاصمته مراغة بعد أن وصلته الأخبار بوفاة أخيه الأكبر منكوخان (سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٩م) وتنازع أخويه «قوبيلاي» و«أريق بوقا» على ولاية عرش المغول ، ويرى أن أخاه قوبيلاي الأجدر لذلك، بالإضافة إلى العلاقة السيئة بينه وبين أبناء عمومته خانات القبيلة الذهبية (القيجاق) الذين

يهددونه إذ أن بركه خان كان يميل للمسلمين حتى إعتنق الإسلام وعنف وقرع وأنب هولاكو بسبب مذابحه ، بالإضافة إلى أنه خاف أن ينهزم فتضيع مكانته لهذه الأسباب كلها عاد هولاكو وترك الجيش لقائده كيتوبوقا المسيحي ليكسب ود المسيحيين الصليبيين ويصبغ على حربه مع المسلمين الصبغة الدينية ولكن الصليبيين انفسهم لا يطمئنون للمغول بسبب غدرهم لذا كان الصليبيون يؤثرون المسلمين على المغول ، واختار قطز المكان المناسب للحرب وهو عين جالوت في فلسطين واختار شهر اغسطس حيث الحرارة مرتفعة للتاثير على المغول القادمين من منغوليا البارده وبذلك إجتمعت مقومات النصر للمسلمين على المغول المفسدين في الأرض [1] .

٢ . طبيعة أرض المعركة .

أ . موقع المعركة . تقع عين جالوت في سهل مرج ابن عامر (في فلسطين) في الجزء الجنوبي الشرقي منه ، يحده من الشمال الشرقي مدينة الناصرة ، ومن الجنوب مدينة حنين ، ومن الجنوب الغربي الكرمل وجبال نابلس ومن الشرق جبال فقوعة ووادي جالوت ومن الشمال الغربي تلال شفا عمرو ، عين جالوت قريبة من وادي جالوت وجبال فقوعة تمتد إليها المحاور من جميع الجهات من الداخل ومن الساحل وتحيط بها الأنهار والأودية ، وتكتنفها الجبال وتنعم بالسهل الذي تقع فيه ، ويبلغ طول سهل ابن عامر (ميدان المعركة) شرقاً وغرباً حوالي ٤٠كم ، وشمالاً وجنوباً حوالي ٢٠ كم . يرتفع عن سطح البحر مابين (١٥ – ٥٠) متراً ، غزير المطر في قسمه الشمالي القريب من الناصرة ، واقل غزارة في قسمه الجنوبي . ويختلف مناخه عن مناخ السهول الساحلية ، ومما هو جدير بالذكر أن منطقة القتال غنية بالينابيع الصافية العذبة التى تصلح للشرب والإستعمالات العديدة للجنود وأكثر ما تكون من الجهة الشرقية من عين جالوت

(١) د . عبد الله سعيد محمد سافر الغامدي : جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ – ١١٦ ، بتصرف .

وإلى الشمال منها حيث توجد في تلك المنطقة أكثر من سبعة عيون رئيسية وتنحدر كلها نحو الشرق وأكثر العيون التى استفاد منها الجيشان المملوكي والمغولي هي : عين جالوت وعين الميتة وعين الجندي القريبة من بعضها شمالاً وجنوباً ، واذا كان هذا هو التمركز للجيوش القديمة وفي القرون الوسطى فانه يصبح في هذا العصر أشد ضرورة وإلحاحاً وذلك لطبيعة الأسلحة والقيادة وللتعب والإرهاق اللذين يصيبان الجندي أثناء القتال والحركة .[1]

ب . طبيعة الأرض . لقد تميزت أرض المعركة بالمحاور العديدة التي تحدد احياناً إتجاه القتال وفي احيان أخرى تسمح بالمناورة والإلتفاف القريب أو البعيد كما أن ميول أرض المعركة تتدرج بالإنخفاض من شمال نحو الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال لتلتقي في الوسط ، كما أن التربة ثابتة وصالحة للقتال في الجهة الشرقية ورخوة وغير متماسكة في الجهة الغربية ، وهي لميولها لا تحتوى على الماء أو تتجمع في قاعها ، بينما في الجهة الغربية حيث يقل الميل وتكثر السبخات والمستنقعات مما يجعل السير في تلك الأراضي صعباً . حيث لا يمكن للخيل أن تتحرك بحرية وكذلك تقل الدروب والمسالك في المنطقة الغربية وذلك بسبب وجود هذه المستنقعات وعدم صلاحيتها حتى لسير المشاة ، وهذا مما يدل على أن المعركة قد وقعت في الجزء الشرقي من سهل ابن عامر ، أى بالقرب من عين جالوت .[2]

٤ . قوات الطرفين .

أ . قوات المماليك وتقسم قوات المماليك على النحو التالي :

(١) فئات المقاتلين [3] . ولعل أهم الفئات التي اشتركت في المعركة ما يلي .

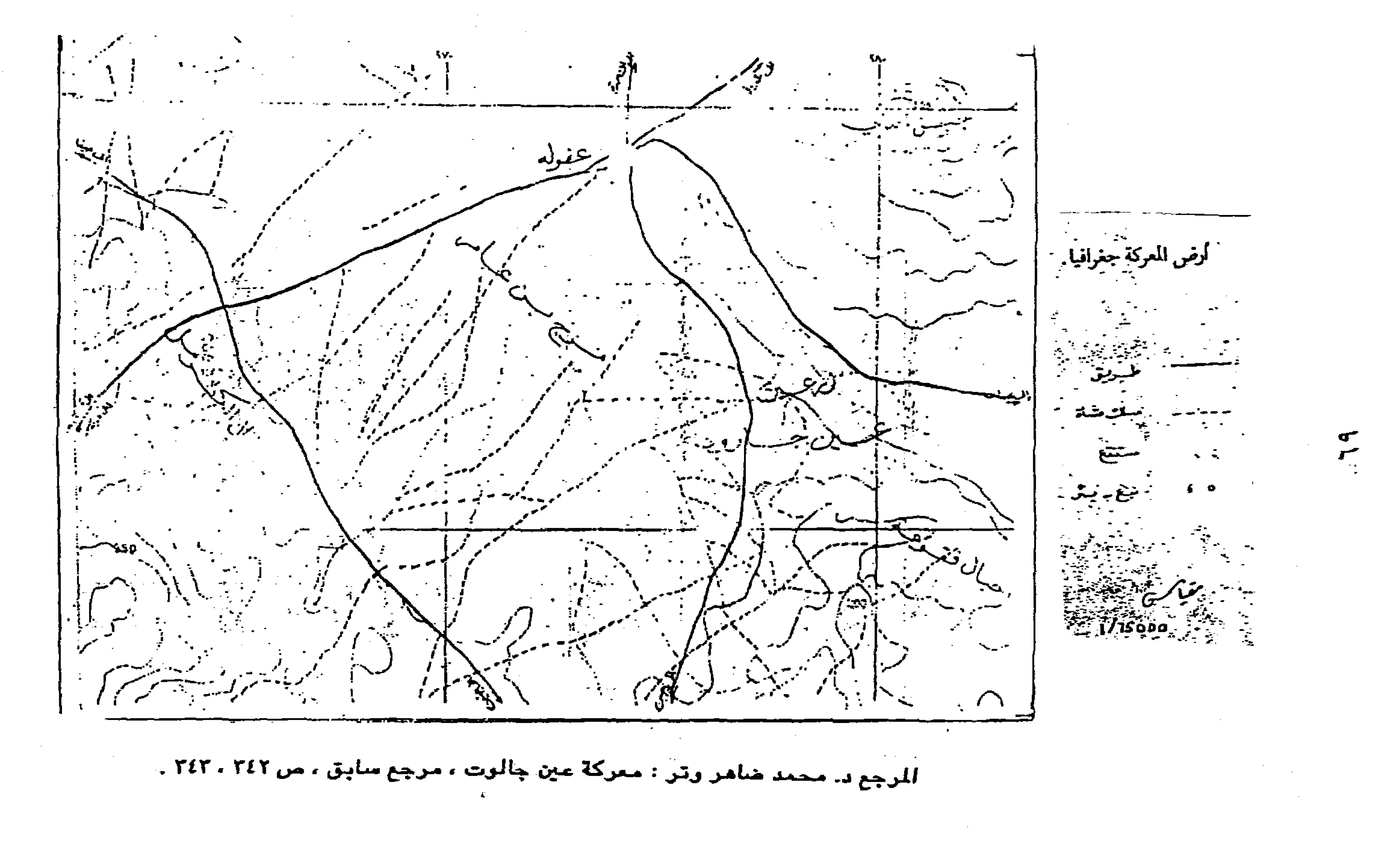
(أ) الترك . وجاءوا من بلاد القيجان وكثر الرقيق المحارب من هذه

---

(١) اللواء الركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٨١ – ٨٦ ، بتصرف .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ – ٩٤ ، بتصرف .

(٣) اللواء ركن د. محمد ضاهر وتر ، مرجع سابق ، ص ٩٨ – ١٠٩ ، بتصرف .



المرجع د. محمد ضاهر وتر: معركة عين جالوت، مرجع سابق، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

البلاد حتي شكلوا دولة قوية عرفت بإسمهم فكان أول سلطان هو أيبك التركماني وكذلك قطز وبيبرس ولهم صبر على الحروب وانقسموا إلى المماليك القراصنة وهم الذين دخلوا في خدمة السلطان والمقربين إليه والمماليك الجلبان وهم الذين جاءوا الى البلاد وهم كبار السن عن طريق الشراء والمماليك السلطانية وهم الفئة الخاصة بالسلطان التى جلبت إلى البلاد عن طريق الشراء وأجناد الحلقة وهم الذين ينتمون الي فئات وطبقات من المماليك وغير المماليك وهم الأغلبية والمماليك الخاصة (خشداش) وهم الملازمون للسلطان في بيته وخارج بيته والمقربون إليه ، وأجناد الأمراء وأبناء الأمراء والسيفية وهم المماليك الذين ينضوون في خدمة الأمير الذي يكون في السلطة .

(ب) الشراكسة . وبلادهم هي بلاد القوقاس وقد جاءوا الى مصر عن طريق الرق كغيرهم من المماليك ، ومن عادتهم أن يقاتل المقاتل حتى يقتل او ينتصر .

(ج) الأكراد ومنهم طوائف عديدة منها البازاتية والاراكية .

(د) المغول . هاجروا من بلادهم ودخلوا في الجيش المملوكي وأسلم الكثير منهم حتى أن الملك قازان دخل الإسلام .

(هـ) العرب وهم الذين عاشوا على الأرض العربية في مصر والشام وبرزوا كجنود أوفياء ومن أبرز فئاتهم العربان مثل آل ربيعه بن طيء بن كهلان من القحطانيين ، والمواطنون والتحقوا مع الجيش المملوكي بكثرة والمشايخ وكانت مهمتهم الحث على الجهاد والإشراف على التوعية .

(٢) أسلحة المماليك . استخدم المماليك المنجنيق وطوروه ومدافع النفط ويسمى المكاحل واستخدموها في معركة عين جالوت بكثرة وفاعلية واستخدموا مدافع البارود وهم المكتشفون لهذا السلاح[1] وكذا المواد الجرثومية والحيات والعقارب والمواد النفطية الحارقة واستخدموا سلاح المدفعية تحمله الجمال والبغال بجانب

---

[1] هذا يبين خطأ المقولة بأن نوبل صاحب الجائزة هو أول من اكتشف البارود.

سلاح الفرسان وغيره علماً بأن السيوف في الجيش المملوكي أفضل مما عند المغول .[1]

(٣) عدد الجيش المملوكي . قدره المؤرخون بأنه حوالي أربعين ألف مقاتل وقدره آخرون بتسعين ألف مقاتل [2] .

ب . قوات الجيش المغولي .

(١) الفئات . كان القوام متجانساً وأغلب الجيش من المغول الذين هم من أصل تركي . وليس للمغول عقيدة عرفوا بها منذ القديم وإنما كانوا شعوبيين بعيدين عن الدين ، وانضم لهم بعض المماليك الذين هربوا من مصر بالإضافة الى بعض الجنود الذين كانوا من شعوب وأمم ممن استولى المغول علي بلادهم بعد تجربته وفحصه وأغلب الجنود من الكرج والأرمن ومن حلفاء المغول الملك السعيد صاحب الصبيبة ومن معه وكذا أعوان في الداخل من دمشق وغيرها بالإضافة للمسيحيين النعميين وقسم من الصليبيين والأفرنج وسكان جرمانيا الشماليه [3] .

(٢) الأسلحة تتشابه مع الجيش المملوكي إلا أن النشاب والمجانيق في الجيش المغولي أكثر تطوراً ، سلاح المدفعيه كان متطوراً عندهم أكثر من الجيش المملوكي فكان يحمل على عجل تجره الثيران أو الخيل بالإضافة لأسلحة الفرسان [4] .

(٣) عدد الجيش المغولي . قيل أن عدده كان خمسة عشر ألفاً [5] . وقيل أنه عشره آلاف مقاتل [6] وقيل أنه اثنى عشر ألف فارس فقط [7] .

---

(١) اللواء الركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ١٩٧-٢٣٨ ، بتصرف .

(٢) . المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، بتصرف ، ورجح المؤلف أنه سبعين ألف مقاتل لأن عدده بعد المعركة في حدود أربعين ألف مقاتل وقد انضم لهم الإحتياط والقبائل العربية وغيرها .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١١ – ١١٥ ، بتصرف .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، بتصرف .

(٥) المرجع السابق ، ص ١١٦ ، ١٦٦ ، بتصرف .

(٦) د. محمد نصر مهنا ، د. فتحيه النبراوي : قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر (الإسكندرية ، منشأة المعارف ، الطبعة) ص ٨٣ .

(٧) د. أحمد عبدالكريم سليمان : المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

• **خطط الطرفين .**

كان النظام المتبع في الجيش هو ترتيب القتال ونظام الصفوف المنسقة في العمق ونظام الميمنه والميسرة والقلب فكان قطز قائد الجيش في القلب وركناه في الميمنة والميسرة وكان المغول يطلقون على قائد القلب (قول) (ووضع قطز خطته العسكرية على أساس إعداد كمين لقوات العدو في ثلاث جهات ومنذ بداية المعركة الرئيسية التي وقعت يوم (٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ/سبتمبر ١٢٦٠) تميز الأشرف حاكم حمص وفقاً لاتفاقه السابق مع قطز كما حمل قطز في عدد قليل من قواته على المغول واشتبك معهم ثم استدرجهم حتى بلغ بهم الكمين فانشق عليهم من ثلاثة جهات) [١] كما عزز قواته في الميسرة حتى يلتف حول جيش المغول ويطوقه واستطاع أن يقتل الكثير منهم بسبب تلك الخطة ، كما أنه على ساحل عكا تظاهر جيش المسلمين أنه لن يتقدم في حين أنه تقدم الى عين جالوت في خفيه وخداع للعدو مما تسبب في المفاجئة (كما أنه وزع قواته في التلال المحيطة بـ «عين جالوت» وأخذ في إدارة الحرب) [٢] كما زج قطز قوات النسق الثاني والمؤخرة في الثغرة التي حاول العدو خرقها وهذه هي كانت خطة المغول في إحداث ثغرة في جيش المماليك من خلالها يتحركون للقضاء على المسلمين ولكن قطز جبرها وقام بهجوم معاكس ، وخطة المغول اعتمدت اعتماداً كلياً على صيتهم وشهرتهم في القتال وثقتهم العالية في النصر لذا لم يقوموا بكثير من مبادىء الحرب والقتال ، كما حرص المغول على أن الخطة أن يتحركوا من بغداد الى حلب الى دمشق ثم نحو مصر ليدمروها [٣] .

---

(١) د. أحمد عبدالكريم سليمان : المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٢) بسام العسلي : المظفر قطز ومعركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ١٨١ .

(٣) اللواء الركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

٦ . سير المعركة .

تحرك الجيش المملوكي من قلعة الجبل في مصر وتحشد في الريدانية ومنها إلى الصالحية حتى وصل الى غزة طليعة المماليك بقيادة بيبرس وكان بيدرا قائد طليعة جيش المغول قد تقدم بقواته حتى غزه وعندما علم بتحرك جيش مصر أرسل الخبر عل الفور الى كيتوبوقا في معسكره بالقرب من بعلبك فطلب منه كيتوبوقا الثبات والإنتظار في مكانه ، ولكن بيبرس البندقدار الذي فوض إليه قطز قيادة مقدمة الجيش المصري داهم بيدرا وألحق به الهزيمة وطارده حتى نهر العاص ، فغضب كيتوبوقا عندما علم بذلك وجمع قواته المتفرقة في بلاد الشام وانضم إليه الجورجيون والأرمن إستعداداً للقاء قطز في معركة فاصلة ، وحصل قطز على معلومات عسكريه مهمه عن العدو أرسلها إليه صارم الدين أزبك الذى أسره المغول [1] ، واتجه كتبغا من بعلبك عندما سمع الأخبار ناحية وادي نهر الأردن وتأخر بسبب ثورة المسلمين في دمشق على النصاري ثم وصل بجيشه في اتجاه الجنوب ، وبينما قطز في عكا علم أن «كتبغا» عبر نهر الأردن ووصل الى الجليل الشرقي ، فبادر على الفور بقيادة جيشه في اتجاه الجنوب الشرقي واجتاز مدينة الناصرة ووصل إلى عين جالوت في ٢ سبتمبر ١٢٦٠م/٦٥٨هـ [2] .

وعندما كانت القوات المسلمة في عكا توهم العدو أن هذه القوات لن تتقدم بعد ذلك أبداً واستغلت القوات المملوكية هذا التراخي فسلكت عبر الوديان والممرات من عكا متجهة الى الجنوب الشرقي فوصلت إلى سهل مرج ابن عامر دون أن يكون للقوات المغولية علم بهذا التحرك إلى أن وصل إلى عين جالوت ، وفي عين جالوت كانت منطقة التمركز من الجنوب الغربي من عين جالوت بالنسبة لجيش

---

(١) د. أحمد عبد الكريم سليمان: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٢) بسام العسلي : المظفر قطز ومعركة عين جالوت (بيروت : دار النفائس ، الطبعة السابعة ، السنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص ١٢١ ، ١٢٢ ، بتصرف .

المماليك والشمال الشرقي للمغول [1] واجتمع الجميع في الخامس والعشرين من رمضان يوم جمعة (سنة ٦٥٨هـ/سبتمبر ١٢٦٠م) وذلك بعد طلوع الشمس وقد امتلأ الوادي بالناس وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء إيذاناً ببدء الهجوم ولما حمى وطيس المعركة تحيز المغول إلى الجبل واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وقتل من الطائفتين أعدادٌ كثيرة وانكسرت ميسرة المسلمين في بداية الأمر كسرة شنيعة فحمل قطز بنفسه في طائفة من عساكره وأردف الميسرة حتى جبر ضعفها والقى خوذته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته «وإسلاماه» ، فحمل المسلمون على المغول حملة رجل واحد حتى نصر الله الإسلام وأهله وانكسر المغول هاربين بعد أن أصيب قائدهم كيتوبوقا وأسر وقتل أعيانهم ثم احتشد المغول مرة ثانية عند بيسان فهاجمهم المسلمون وصرخ السلطان قطز وهو يقول «وإسلاماه» ثلاث مرات «ياالله أنصر عبدك قطز على التتار ، فقويت عزائم المسلمين وحملوا على عدوهم حملة منكرة فهزموهم هزيمة ثانية ، ونزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه علي الأرض وقبلها وصلى ركعتين شكراً لله تعالى ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة [2] وفر كثير من المغول في وسط مزارع القصب، فاشعل المسلمون المزارع بالمجانيق وغيرها وأحرقوها جميعاً [3] وعمل بيبرس بعد المعركة كميناً للمغول الهاربين وقتل منهم الكثير وفر المغول بدون نظام كقطعان الماشية خائفين وأمر قطز بقتل كتبغا قائد المغول بعد معركة كلامية بينهما، ولم يهنأ قطز بهذا النصر حيث دبر له الظاهر بيبرس مكيدةً بسبب أن بيبرس طلب تعيينه على حلب فرفض «المظفر قطز» طلبه فعندما كان قطز يمضي يوم العطلة في صيد الأرانب خرج في جماعة من

---

(١) اللواء ركن د. محمد ظاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ ، بتصرف .
(٢) د. عبدالله سعيد محمد سافر الغامدي : جهاد المماليك ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٣) د. أحمد عبدالكريم سليمان : المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

أمرائه ولم يكد الموكب يبتعد عن المعسكر حتى تقدم أحدهم من السلطان وكأنه يلتمس طلباً إليه وبينما أمسك بيد السلطان كأنه يهم بتقبيلها اندفع «بيبرس» فأتاه من الخلف وغرس سيفه في ظهر سيده ، وأعلنوا نبأ مصرعه وكان «اقطاي» أتابك العساكر في خيمة السلطان حين وصل المتآمرون فبادرهم بالسؤال أيهم قام بقتل السلطان فلما اعترف له «بيبرس» طلب إليه «اقطاى» أن يجلس في دست السلطنة وكان أول من بذل الولاء لـ «بيبرس» ثم حذا حذوه جميع قادة الجيش وعاد «بيبرس» إلى القاهرة وقد أصبح سلطاناً على مصر [1] .

٧ . نتيجة المعركة .

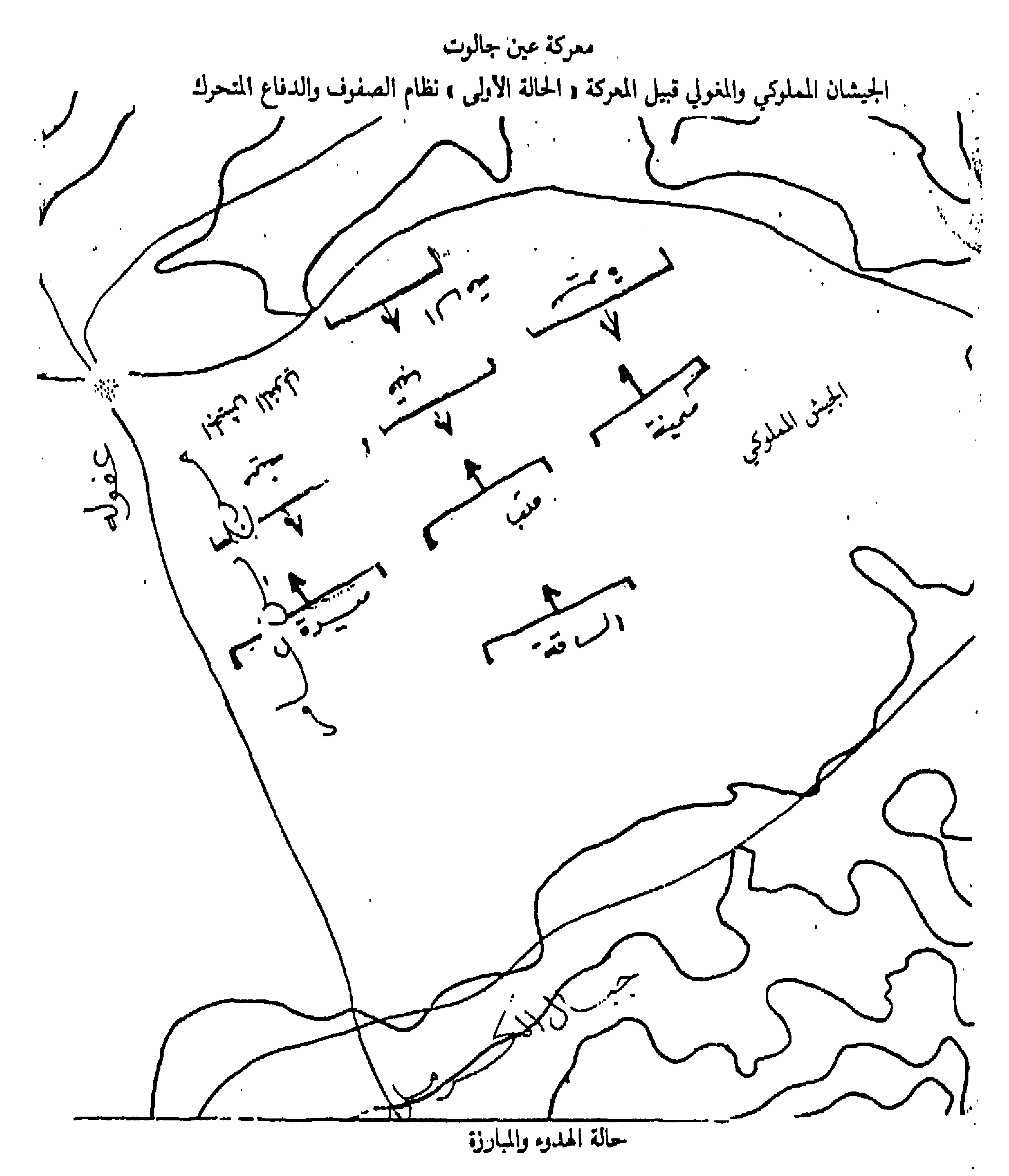
لقد انعكست آثار هذه المعركة على العالم العربي والإسلامي والأوروبي وعلى الصعيد الداخلي والخارجي6 ففي الداخل أقيمت الإصلاحات الإدارية وقسمت الدولة لنيابات وهي دمشق ، حلب ، طرابلس ، حماة ، صفد ، الإسكندرية ، الكرك ، غزة ، ملطيه واخيراً القدس ، وأما الخارجي فاقيمت العلاقات الدبلوماسية والتجارية وعلى الصعيد الإقتصادي أعتمدت الدولة على الموارد الزراعية والتجارية والخراج والزكاة والعشور وأما على الصعيد العسكري ففضلته على جميع النواحي ومعركة عين جالوت هي أول صدام بين المغول والمماليك وترتب عليها نتائج بالغه على كل القوى [2] فكان من تلك النتائج ما يلي .

أ . تبديد خرافة أن المغول قوم لا يهزمون قط وبعثت روح الجهاد الإسلامي في مواجهة أعداء الإسلام فأوقفت المد المغولي غربي الفرات وقضت على أحلامهم في الإمتداد إلي أفريقيا وأوروبا وبهزيمة المغول استطاع المماليك القضاء نهائياً على الصليبيين في بلاد الشام .

ب . أتاح ذلك النصر للقاهرة أن تكون قبلة الأنظار وحارسة الثقافة

(١) بسام العسلي : المظفر قطز ومعركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

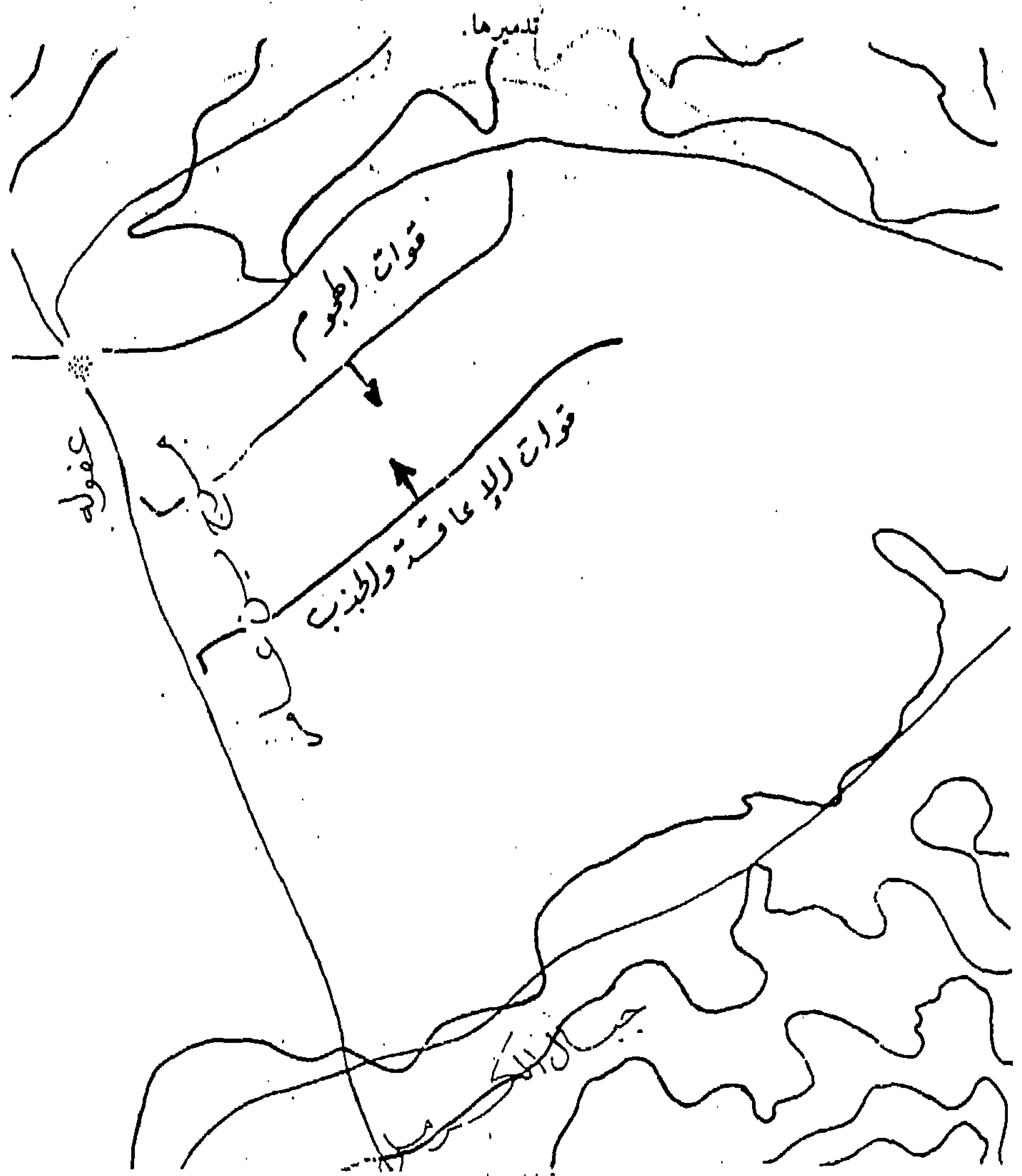
(٢) اللواء ركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٣٧٩ ، بتصرف .



المرجع د. ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

معركة عين جالوت

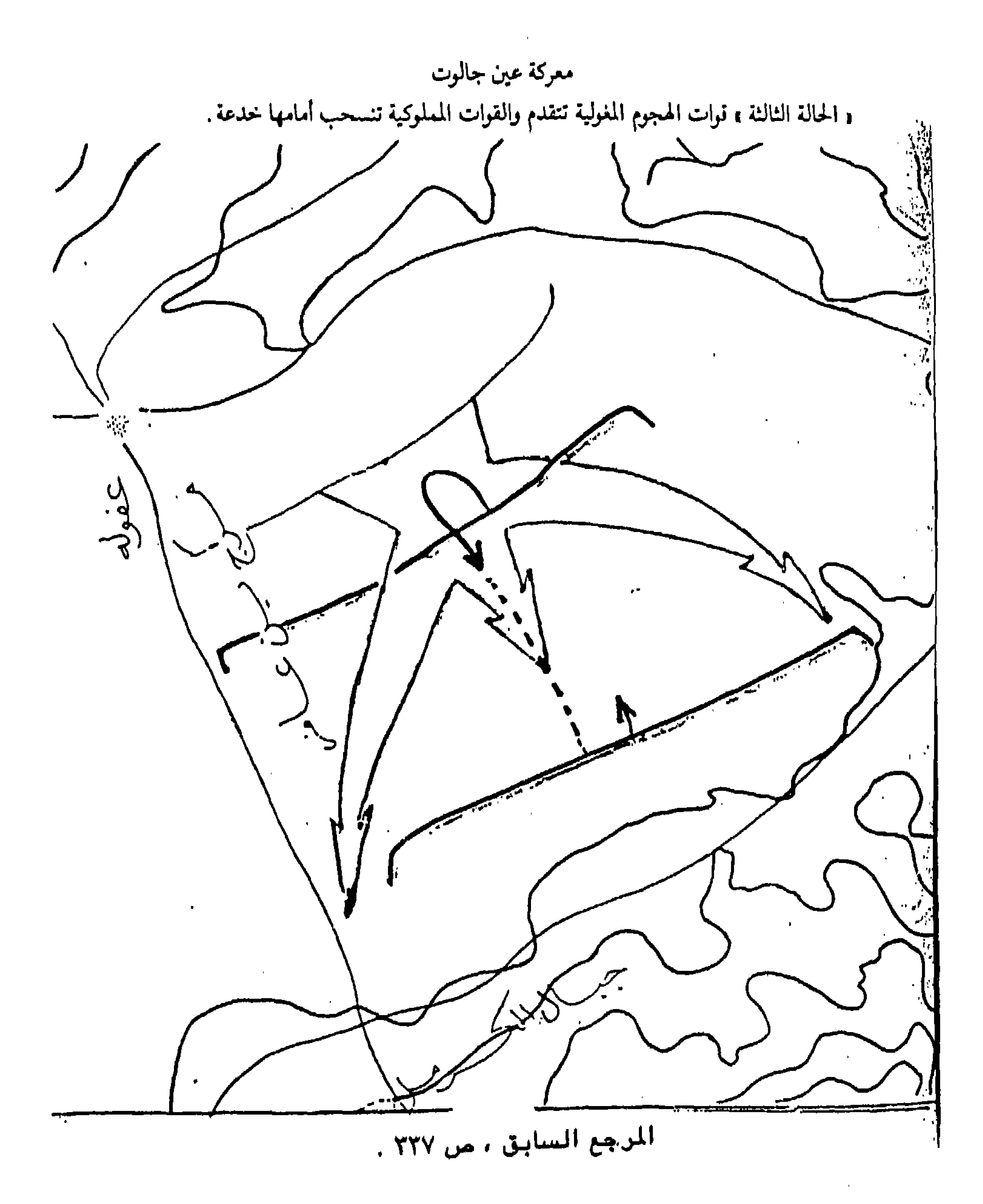
« الحالة الثانية » قوات الهجوم المغولية تضغط على قوات الإعاقة والجذب المملوكية وتحاول تدميرها.



المرجع د. ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .

معركة عين جالوت

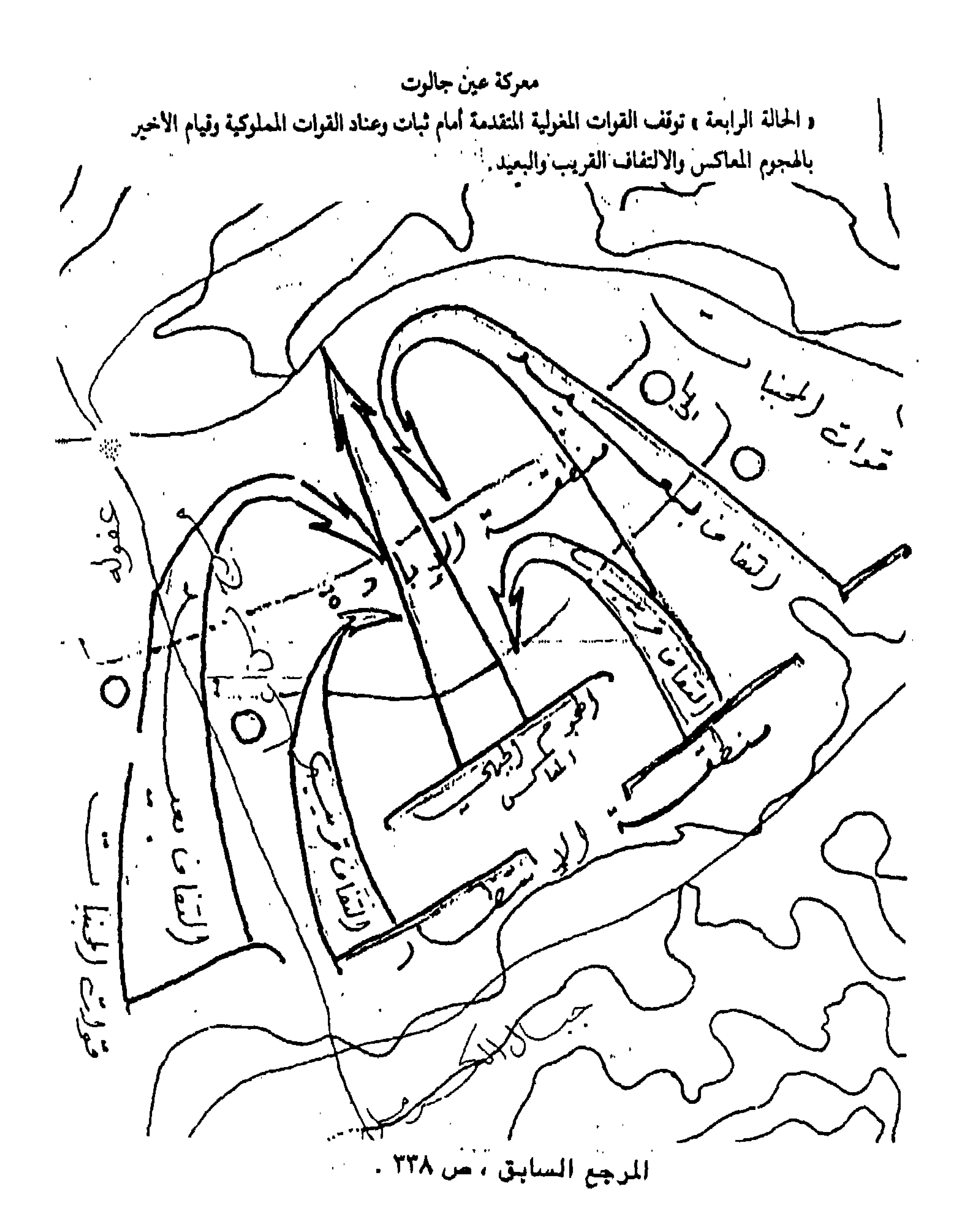
« الحالة الثالثة » قوات الهجوم المغولية تتقدم والقوات المملوكية تنسحب أمامها خدعة.



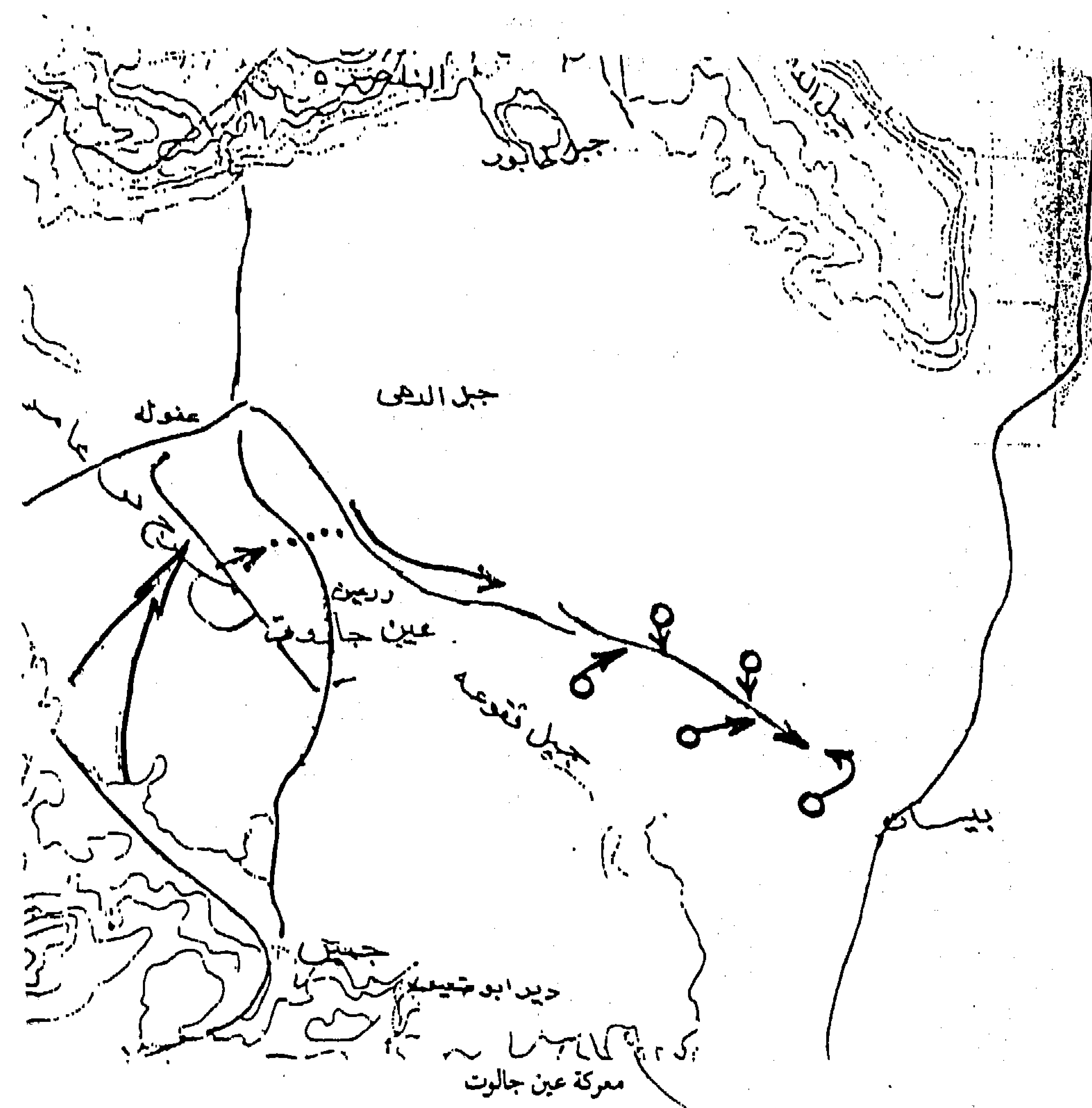
المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

معركة عين جالوت

« الحالة الرابعة » توقف القوات المغولية المتقدمة أمام ثبات وعناد القوات المملوكية وقيام الأخير بالهجوم المعاكس والالتفاف القريب والبعيد.



المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .



معركة عين جالوت

« الحالة الخامسة » القوات المغولية تنسحب من أرض المعركة دون نظام مذعورة تلاحقها القوات المملوكية من الخلف وتكمن لها أمام طريق انسحابها بقيادة رئيس أركان الجيش بيبرس.

المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

الإسلامية وتصدير تلك الثقافة إلى المغول أنفسهم .

ج . عودة التوازن السياسي والإجتماعي بين المسلمين والأقليات المسيحية في البلاد الإسلامية الى حالته الطبيعية التى ارتفع شانها لتعاطف المغول .

د . إعادة الوحدة بين مصر وبلاد الشام حتى شاطىء الفرات [1] .

هـ . ظهور الجيش المملوكي كجيش قوى والإستقرار الداخلي إستعداداً لعودة المغول والدعم والتأييد الخارجي مع توليد الحقد لدى الجيش المغولي ومحاولته الثار .

و . تطوير الجيش المملوكي وتحديث عتاده وأنظمته القتالية .

ز . بدء الخلافات وتصعيدها بين الأمراء والمماليك والإقتتال على السلطة [2].

ح . لو تم للمغول وحلفائهم النصر لنفذوا إلى الأراضي المصرية ومنها الى ليبيا وبلاد النوبة ولإسترد الصليبيون بيت المقدس من المسلمين .

ط . القضاء نهائياً على المعارضة الأيوبية لهم .

ى . بعث روح جديدة في المسلمين ولا سيما مسلمي فارس وأخذوا يصمدون أمام مناورات المسيحيين وينافسونهم في تبوء مركز الصدارة في دولة المغول بإيران واعتنق المغول الإسلام في غرب آسيا .

ك . إحياء الخلافة العباسية ونقل مقرها إلى الديار المصرية لتكتسب دولة المماليك الفتية وعاصمتها صفة شرعية لزعامة المسلمين في المشرق .

ل . أما تاثير المعركة على الصليبيين فإنهم اعتقدوا أن يومهم آت لا محالة فسارع زعماؤهم بالتقرب إلى السلطان الظاهر بيبرس الذي قام بدوره بالإجتماع برسل عكا في دمشق واستعرض معهم تاريخ مؤامراتهم ومكائدهم واعتداءاتهم المتكررة ونقضهم العهود والتآمر مع الغزاة ضد المسلمين،وختاماً يمكن القول إنه بفضل انتصار المماليك في معركة عين جالوت أصبحت سلطنة المماليك المسلمين

---

(١) د. أحمد عبدالكريم : المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، مرجع سابق ، ص ٦٨ - ٧٠ ، بتصرف .

(٢) اللواء الركن د. محمد ضاهر وتر : معركة عين جالوت ، مرجع سابق ، ص ٢٧٩ - ٢٩٤ ، بتصرف .

في بلاد الشام ومصر أقوى دولة في الشرق الأدنى لمدة تزيد على قرنين من الزمان ، إذ أن هذا الإنتصار بدد أحلام المغول في السيطرة على بلاد الشام ومصر . وعجل بزوال ما تبقى من الإمارات الصليبية في المشرق وترك أثراً أشد وقعاً وأقوى تأثيراً مما تركته وقعتى المارن في الحرب العالمية الأولى والعلمين في الحرب العالمية الثانية [1] .

٨ . الدروس المستفادة .

لا بد من وجود دروس مستفادة ولا سيما في هذه المعركة الفاصلة ألا وهي معركة المسلمين ضد الكافرين فهي معركة عقائدية في المقام الأول ، فمعركة عين جالوت كانت أول معركة للدولة الفتية دولة المماليك وقد خرجنا من دراستنا لهذه المعركة بدروس كثيرة نلخصها فيما يلي .

أ . أهمية توحيد الصفوف وجمع الكلمة والمحاربة كرجل واحد فإن التفرق يذهب بالجيش كله حتى ولو كان أكثر عدة وعتاداً فهذا لا ينفع في وجود التفرق كما قال عز وجل:«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » [2] وكما فعل قطز في جمع شمل الجميع قبل الإقدام على المعركة .

ب . أهمية رفع الروح المعنوية لدى المقاتلين وأن يكون القائد قدوة لهم كما فعل قطز عندما رفع صوته بـ «واإسلاماه» وعندما قاتل بنفسه بدون فرس عندما قتل فرسه ، وكان يذكرهم بالله دائماً فخاض الجميع الحرب وأمامهم إما النصر أو الشهادة فهذه هي عقيدة المسلمين وهي سبب النصر على الكفار .

ج . أهمية مراقبة القائد للمعركة حتى يخطط بناءاً على سير المعركة كما فعل قطز عندما جبر الميسرة الذى كسرها المغول .

د . أهمية المعرفة لجميع أحوال العدو وإمكانياتهم حتى نكون على دراية به

---

(١) د. عبدالله سعيد محمد سافر الغامدي : جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ – ١٤٨ ، بتصرف .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .

ووضع الخطط المناسبة لذلك كما فعل قطز وحصل على المعلومات الكاملة عن جيش المغول باستخدام الجواسيس .

هـ . أهمية التمويه والخداع للعدو حتى نفاجئه ونحدث الإرتباك في صفوفه ، وذلك كما فعله المسلمون في عكا وفي المعركة نفسها بالكمين الذى نصبه المسلمون للمغول حتي أحاطوهم وقتلوا الكثير منهم .

و . أهمية المطاردة بعد المعركة حتى يقطع دابر العدو وحتى لا يتمكن العدو من تجميع نفسه وإعادة الثقة في جنوده مرة أخرى وهذا ما فعله المسلمون في هذه المعركة عند بيسان .

ز . أهمية التربية الإسلامية للقادة حتى لا يتكالبوا على السلطة وحتى لا يقتل بعضهم بعضاً ، فالظاهر بيبرس دبر قتل قطز المنتصر في المعركة والذي ابلى بلاءاً حسناً , من أجل السلطة فلو تربى على أن لا يطلب الإمارة كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم "والله لا نولى هذا العمل أحداً يسأله"[1] لما حدث ذلك ولولا فضل الله وتوفيقه لحدثت فرقة في جيش المسلمين تحملهم على قتل بعضهم بعضاً .

ح . أهمية اختيار المكان والزمان المناسبين للمعركة كما فعل قطز واختار عين جالوت والزمن الحار الذي يتعب المغول .

ط . أهمية التحالف حتى يحارب المسلمون في جهة واحدة كما فعل قطز عندما عقد معاهدة مع الصليبيين بالسماح للمسلمين في السير في أراضيها وتوفير المؤن للجيش الإسلامي ولم يشركهم في المعركة معه حتى تكون الحرب بين المسلمين والكفار .

---

[1] الحدث عن أبى موسى قال: دخلت على النبىﷺ انا ورجلان من بنى عمى فقال أحدهما يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل، وقال الأخر مثل ذلك، فقال: إنا والله لا نولى هذا العمل أحدا يسأله أو احداً حرص عليه، متفق عليه، وعن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها مسألة وكلت إليها، متفق عليه أنظر نيل الأوطار جـ٨ ص٢٥٦

المـــراجـــع

أولاً: القرآن الكريم

١- د. أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظـــاهر بيبـــرس، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤، ط١

٢- د. أحمد محمد عدوان، العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ط١

٣- بسام العسلي، المظفــر قطــز ومعركـــة عــين جـــالوت، بيـــروت دار النفـــائس، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ط١

٤- د. حياة ناصر الحجي، أحوال العامة في حكم المماليك، الكويت، شركة كاظمة للنشر، ١٩٨٤، ط١

٥- د. عبد العزيز محمد عبد الكريم، الحيل في حروب المماليك، القاهرة، مكتبة نهضـــة الشرق، ١٩٨٣م.

٦- د. عبدالله سعيد محمد سافر الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، المدينة، جامعة أم القرى، ١٤١٠.

٧- د. على إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، مكتبة النهضـــة المصرية، ١٩٤٨م، ط١

٨- اللواء ركن د. محمد ضاهر وتر، معركة عين جالوت دراسة بين الجيشين المملوكي والمغولي، دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ط١

٩- د. محمد نصر مهنا، قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته، الإسكندرية، شـــركة كاظمـــة للنشر، ١٩٨٤، ط١.

١٠- محمد بن على بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار، مصر، دار التراث.


ثانياً: المجـــلات

- مجلة المدينة المنورة: د. شفيق جاسر أحمد محمود. المدينة، السنة ٢١ العـــددان ٨١، ٨٢ محرم – جمادى الآخرة/ ١٤٠٩هـ

المحتويات



مكتبة بستان المعرفة
لطباعة ونشر وتوزيع الكتب
كفر الدوار - الحدائق - أمام أبراج الحلواني
ت: ٢٢١١٤٩٥/٠٤٥ ـ محمول: ٠١٢١١٥١٢٣٢٠


مكتبة بستان المعرفة